

أفضل مقول في مناقب أفضل

رسول صلى الله عليه وسلم

تأليف
أبو الفضل عبدالله الصديق العماري



رقم الإيداع بدار الكتب

٢٠٠٥/٤٣٨٢

الترقيم الدولي I.S.B.N

٩٧٧-٤٠١-٠٠٤-٣

جميع حقوق الطبع والنشر والتوزيع
والنقل والترجمة لكتب السادة الغفارية خاصة
مكتبة القاهرة

على يوسف سليمان وأولاده

١٢ ش الصناديقية بالأزهر ت : ٥٩٠٥٩٠٩

١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٥١٤٧٥٨٠

ص . ب ٩٤٦ العتبة - القاهرة - جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

القدمة

هنا كتاب قد سُجدت به جميعه	في فضل خير الخلق أكرم مُرسَل
نور الوجوه شيعتنا يومَ اللقا	هابى الخلائق للصراط الأكمل
قد خصه المولى بأقرب خلقه	وخياه بالخلق العظيم الأفضل
بجَنَابَةِ أهدى كتلى واجباً	أن يقبل المهدي فيقول للفضل
وخرمقتى كراماً إلى أتباعه	أقل الحديث وأهل بكر مُثدرا

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أحمدته تعالى وأثنى عليه وأشكره، وأستهديه سبحانه، وأستعينه واستغفره، وأشهد أن لا إله إلا هو المتفرد بالخلق والإيجاد، المنزه في ذاته وصفاته وأفعاله عن الشركاء والأنداد، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفه وخليله، جعله نبياً وآم منجد في الطين، وأخذ الميثاق به على جميع النبيين، ثم بعثه مؤيداً بالمجرات البهارات، وفضله بأنواع الخصائص والمكرمات، فشرح صدره، ورفع ذكره، وأعلى قدره، وأعظم أجره، وختم به الرسل والأنبياء، وكتب لشريعته الخلود والبقاء، إلى يوم الجزاء، صلى الله وسلم وبارك عليه، وزاده شرفاً وكرامة لديه وأعطاه من صفوف الفضل ما لا يصل أحد إليه. ورضى من آله وأصحابه، وكل من أندرج في زمرة أتباعه وأحبابه.

أما بعد :

فهذه أحاديث منتقاة، في فضائل مولانا رسول الله، خدمت بها الجذاب النبوي. وأنحلت بها المحبين لقائه العلي، وجعلتها وسيلة أنال بها شفاعته يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، ومن الحميم الوفي تقبلها الله بقبول حسن، وأنهب عنا كل كرب وهم وحزن، بفضله وجوده، إنه ذو الفضل العظيم، وصاحب الجود الواسع العليم، لا يرد من سأل. ولا يخيب من لمله، لاسيما وقد استشفعنا إليه بأكرم خليفته وأفضل بريته، سائلين منه سبحانه أن يحقق رجاءنا، ويقبل دعائنا ويمحو وزرنا، ويجبر كسرنا، إنه قريب مجيب.

أبى الفضل

عبد الله الصديق النماری

١ - حديث: متى وجبت النبوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال ﷺ { وآدم بين الروح والجسد } رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب .

قوله: متى وجبت لك النبوة، هكذا في هذه الرواية، وهي أيضاً رواية الحاكم وأبي نعيم والبيهقي، وصححها الحاكم أيضاً .

وفي رواية: متى كتبت نبياً؟ قال ﷺ { كتبت نبياً وآدم بين الروح والجسد } وهذه رواية أبي هريرة وإساعيل بن نجيد في جزئه .

وفي رواية: متى كتبت نبياً؟ وهي رواية يسيرة الآتية في الحديث الثاني، ومثلها رواية ابن عباس عند البزار والطبراني وأبي نعيم، ورواية ابن أبي الجعداء عند ابن سعد وابن قانع، ورواية مطرف بن عبد الله بن الشخير عند ابن سعد .

وفي رواية الشعبي أن رجلاً قال للنبي ﷺ متى استقبلت؟ قال { وآدم بين الروح والجسد، حين أخذ من الميثاق } رواها ابن سعد أيضاً، لكن الراوي عن الشعبي جابر الجعفي، وعن الصابحي قال: قال عمر: متى جعلت نبياً؟ قال ﷺ { وآدم منجدل في الطين } رواه أبو نعيم في الدلائل .

وهذه الروايات متقاربة والمراد به الإخبار بوجود نبوته أي: ثبوتها لروحه الشريفة المخلوقة قبل الأرواح، ورواية متى كتبت؟ معنى الكتابة فيها: الوجوب والثبوت في الخارج أيضاً، فإن الكتابة تستعمل فيما هو واجب ظاهر في الخارج، نحو ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ (البقرة: ١٨٤) .. ﴿ كُتِبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّا ﴾ (الجمعة: ٢١) .. ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ (البقرة: ١٧٨) . وحاصل المعنى: أن الله تعالى أقاض على روح نبيه الشريفة أو حقيقة "المحمدية" وصف النبوة في وقت كان آدم لا يزال طريحاً على الأرض قبل نفخ الروح فيه، وإفاضة النبوة في هذا الوقت تستلزم تقدم خلقه على غيره كما هو ظاهر .

ولهذا جاء من طريق عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخْلَقْنَا مِنَ الطِّينِ بَشَرَهُمْ ﴾ (الأعراف: ٧)، قال { كنت أول النبيين في الخلق

(١) وهذا ما يلمحه أصحاب السير والمؤلفون بقولهم: خلق نوره قبل الأضواء، لأن روحه الشريف كان موجوداً منفصلاً بالنبوة قبل نفخ الروح في آدم كما تبين، والروح جسم نوراني لطيف، كما خلقه ابن القيم وغيره، وكذا إذا قلنا: أن المراد حقيقة فإنها أمر نفس مخلوقة من نور الله، إلا أن هذا لا يفسر القول من دون ذلك، كما قاله الفقيه السبكي في رسالة التعليل والثناء .

وأحرقهم في الهيث { فبدأ به قبلهم، رواه ابن أبي حاتم وغيره، ورواه ابن سعد عن قتادة مرسلاً بلفظ { كنت أول الناس في الخلق وأحرقهم في الهيث } .

قال المناوي في شرح الجامع الصغير ما نصه: جملة الله حقيقة تقصر عقولنا عن معرفتها وأفاض عليها وصف النبوة من ذلك الوقت، ثم لا انتهى الزمان بالاسم الباطن إلى الظاهر، ظهر بكنيته جسماً وروحاً . اهـ

وفي حديث الإسراء من رواية أبي هريرة { وجعلني فاتحاً وخاتماً } أي: فاتحاً لخلق الموجودات، وخاتماً لظهور النبوات، ولذا كان من أسمائه ﷺ (الفاتح الخاتم) وقد أجاد في تقرير هذا المعنى وإيضاحه الإمام الحافظ تقي الدين السبكي في رسالة التعظيم والمنة في ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ (آل عمران: ٨١) وهي مطبوعة في فتاويه، ونقل كلامه الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى، والقسطاني في المواهب اللدنية وغيرهما ..

تذييله

عرض زكي مبارك في كتاب ((التصوف الإسلامي)) لموضوع الحقيقة البحمدية، وزعم أن الصوفية تمايزوا فيها، كقتال البصري في الحقيقة العيسوية، وتكلم علي أحاديث { كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد } فزعم بطلانها، وأيد زعمه بتقل كلام الذهبي في الميزان على بعض رجال هذه الأحاديث، وكل ما أبداه خطأ فاحش، فإن الصوفية لم يتفألوا، بل ذكروا ما فهموه من الأحاديث بحسب ما ألهمهم الله، ومن عادة الذهبي أنه يصرح في ((الميزان)) ببطلان الحديث الصحيح، بل المتواتر أحياناً^(١) وهو يعلم صحته أو تواتره، ولا يقصد بطلانه إطلاقاً، ولكن يقصد بطلانه من طريق الراوي المترجم فقط وهذه عادة كل من تكلم في الضعفاء، كإبن حبان، وإبن عدي، والمقبلي، وهذا أمر معروف لمن مارس علم الحديث، فاهتمام زكي مبارك على (الميزان) في إبطال الأحاديث المذكورة، جهل كبير لا يليق إلا بأمثاله ..

(١) المراد بالناس، النبيون، بدليل الرواية السابقة، فهو عام أريد به الخصوص
(٢) كحديث { من كذب على متعمداً } فهو حديث متواتر وقد نص على وضعه في مواضع من الميزان . في تراجم جماعة من الضعفاء والمجروحين، والمقصود: أن الأحاديث الضعيفة والموضوعة يؤخذ حكمها من الكتب الخاصة بها لا من كتب الرجال، وقد جعل في أول طلبى لهذا الشأن أني رأيت الحافظ الدميري ذكر في ((حياة الحيوان)) حديثاً في الأشياء التي تورث النسيان، ومنها أكل التفاح الحامض، والمشي بين امرأتين، وبين جملتين، وقراءة الكتابة على شواهد القبور .. الخ، ويسمى على صحاحه فطنته ضعفاً كما قال، ثم وجدته منصوباً على وضعه في كتب المؤرخين، فطعت بعد البحث أن الدميري أراد أنه صحيح عن الراوي الذي حدث به، وأنه هو المثلوم بوضعه ..

٢ - حديث: متى كنت نبياً

عن ميسرة العَجْرُ قال: قلت يا رسول الله: متى كنت نبياً؟ قال { وآدم بين الروح والجسد } رواه الإمام أحمد والبخارى فى التاريخ، والطبرانى والحاكم وصححه، وقال: الحافظ: سنده قوى ..

قلت: ورواه أبو الحسن بن بشران، ومن طريقه ابن الجوزى فى كتاب ((الوفاء لمسائل المصطفى)) بلفظ: قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال { لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله حاتم النبيين، وخلق الله الجنة التى أسكنها آدم وحواء فكتب اسمى على الأبواب الأوراق والقياب والخيام وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياء الله تعالى نظر إلى العرش رأى اسمى فأخبره الله أنه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمى إليه { إسناد هذه الرواية قوى أيضاً ..

قوله: متى كنت نبياً، الحديث، تقدم شرح معنى كونه نبياً فى الحديث قبله بما لا مزيد عليه، غير إن بعض العلماء ذكر أن المراد بهذا الحديث وما فى معناه: ثبوت نبوته فى علم الله وتقديره، وأن المعنى: كنت نبياً فى تقدير الله، وآدم بين الروح والجسد، وذلك قال فى حديث { كنت أول النبيين فى الخلق } أن المراد بالخلق التقدير، الإيجاد، أى كنت أولهم فى التقدير ..

هذا حاصل ما ذكره، وهو باطل لوجوه:

الأول: أن نبوة النبي ﷺ ثابتة فى علم الله وتقديره منذ الأزل: فتخصيصها بوقت من آدم بين الروح والجسد، لغو يجب تنزيه الحديث عنه .

الثانى: أن نبوة الأنبياء عليهم السلام، بل الموجودات كلها ثابتة فى علم الله وتقديره، فلم يبق للنبي ﷺ فى هذا خصوصية على غيره، والحديث إنما أتى لبيان خصوصية، فلا بد أن يكون فيه معنى زائد لا يشاركه فيه غيره، وإلا كان الحديث من ل العبث، وذلك باطل .

الثالث: أن الصحابة الذين سألوه بقولهم: متى كنت نبياً؟ كانوا يعلمون أن نبوته فى علم الله وتقديره، بل كانوا يعلمون أن الأشياء كلها ثابتة فى علم الله وتقديره، بالضرورة إنما أرادوا بسؤالهم قدراً زائداً على ما كانوا يعلمون .

الرابع: أن عمر عليه السلام سأل: متى جعلت نبياً؟ وهذا اللفظ صريح في التعبير. أي متى صرت نبياً، وذلك لا يتأتى إلا في موجود، يصح اتصافه بالصفة التي صير إليها، كما تقول جعلت قطعة الذهب خاتماً، أي صيرتها كذلك، وقد كانت القطعة قبل ذلك موجودة، غير أنها لم توصف بالخاتمية، إلا بعد الجعل والتصيير.

الخامس: أن وجود الأشياء في علم الله وتقديره، لا يتصور فيها أسبقية بعضها على بعض، فلا يصح أن يقال: كنت أول النبيين في الخلق، لما يلزم عليه ما لا يليق بالله سبحانه وتعالى، وإنما تصح الأولوية في الخلق بمعنى الإيجاد، لأنه صفة فعل، يتصور معه أسبقية بعض الحوادث على بعض، كما دل عليه القرآن والسنة، فتبين من هذا بطلان ما ذكره البعض، وتعين ما ذكرناه، وهو أن الله أفاض على روح نبيه الشريفة أو على حقيقة المحمدية، وصف النبوة، وخلع عليها خلعة القرب، وآدم بين الروح والجسد، تمييزاً له على سائر المخلوقات، واصطفاه له من بين أنواع الموجودات، فهو خلاصة النوع الإنساني، وسيد القتلين، وأبو الأنبياء عليه السلام وإلى هذا أشار ابن الفارض على لسان الحضرة المصطفوية.

واني وإن كنت ابن آدم صورة قلبي فيه معنى شاهد بأبوتى

يقصد بالمعنى الشاهد: النور الذي كان في جبين آدم عليه الصلاة والسلام، ثم انتقل إلى شيت من بعده، وهكذا على ما ثبت في كتب السيرة النبوية، والله أعلم.

قوله: وقال الحافظ سنده قوى، إذا أطلق الحافظ أو شيخ الإسلام، فالمراد به في عرف أهل الحديث: هو الحافظ ابن حجر العسقلاني، الذي كان أعجوبة الدنيا في كثرة الحفظ وسعة الإطلاع، والقدرة على الجمع بين الأحاديث المتعارضة، وكتبه ناطقة بذلك، كان يسمى أمير المؤمنين في الحديث، وهو كذلك بحق، وتوفى سنة ٨٥٢ هـ. رحمه الله ورضى عنه وأعلى قدره في عليين ..

قوله: ورواه الحسين ابن بشران، اسمه علي بن محمد بن عبد الله بن بشران العدل البغدادي، أحد شيوخ البيهقي، ويروى عنه كثير في كتبه كالأسماء والصفات والسنن والدلائل وغيرها. وفي مكتبتنا من كتب ابن بشران كتاب ((الفوائد الحسان)) يشتمل على أحاديث وآثار مسندة ..

قوله { لما خلق الله الأرض } الحديث، اشتملت هذه الرواية على مسائل:

الأولى: أن الله تعالى كتب اسم نبيه على ساق العرش وأبواب الجنة وأوراقها وقبابها وخبائها إعلاماً لآدم والملائكة بمنزلته عنده، وفي ذلك من التنويه والرفعة ما لا يخفى.

الثانية: قوله: وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء قد يؤخذ منه أنها غير جنة الخلد المعهودة، بل هي جنة خلقت لسكنى آدم وحواء، وفي ذلك خلاف طويل، ليس هذا موضع تفصيله.

الثالثة: قوله: فاخبره أنه سيد ولدك، فيه دليل على أنه سيد ولد آدم، والمراد به النوع الإنساني، فيشمل آدم أيضاً، والأحاديث بثبوت سيادته ﷺ متواترة سردها بأسانيدها شقيقتنا الحافظ المجتهد أبو الفهد السيد أحمد في كتاب ((تشنيف الأذان)) وهو مطبوع.

الرابعة: قوله: تأيا واستشفعا باسمي إليه، فيه دليل على جواز التوسل به من وجهين:

١ - أن النبي ﷺ حكاه وأقره.

٢ - أن الدهاء لا يختلف باحلاف الشرائع والأديان، فإذا جاز نوع منه في عهد آدم مثلاً. دل على جوازه في سائر العهود.

وهذا الحديث يقوى حديث توسل آدم الذي صححه الحاكم، وقال الذهبي أنه موضوع، والصحيح أنه ضعيف فقط، كما صرح به البيهقي في (دلائل النبوة) وهذا الكتاب قال عنه الذهبي نفسه: عليك به فكله هدى ونور، وقد بسطت الكلام عليه في كتاب ((الرد لمحكم المتن))^(١).

قوله: وإسناد هذه الرواية قوى أيضاً. لأنه عين إسناد الرواية الأولى التي صححها الحاكم وقواها الحافظ، غير أن هذه الرواية مطولة، وتلك مختصرة، وهذا أمر معهود بين رواة الحديث، فإن الراوى تارة يكون عنده نشاط، فيذكر الحديث بتمامه، وتارة يقتصر منه على ما يرى أن الحاجة داعية إليه، وتارة يسند، وأخرى يرسل. ومن هنا كان جمع طرق الحديث والوقوف على ألفاظه المتعددة^(٢) شرطاً في فهمه حق الفهم. وهذه الطريقة سلكها الحافظ في ((فتح الباري)) فكان كتابه أكمل الشروح وأوفاهها. واستعان بها على حل مشكلات الحديث استعصيت على غيره ممن سبقه، والله الموفق ..

تفصيله

قوله: وخلق العرش، هذه الجملة حالية، والمعنى: والحال أن الله خلق العرش، ويصح أن تكون معطوفة، والمعطف بالواو لا يقتضي الترتيب، ف يجوز أن يعطف بها متقدم

(١) الناشر: مكتبة القاهرة

(٢) ولقد قال الإمام أبو زهرة الرازي: إذا لم نرو الحديث من عشرة طرق لم نفهم مسنده

على متأخر، كما هنا، لأن العرش مخلوق قبل السموات والأرض، بدليل قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (مؤمن: ٧) وبدليل الحديث الآتي بعد صفحة، وعلى هذا فكتابة اسم النبي ﷺ على ساق العرش، كانت قبل خلق السموات والأرض، وقبل خلق الجنة التي سكنها آدم عليه السلام، بمدة لا يعلمها إلا الله تعالى، وقوله في آخر الحديث: وأدم بين الروح والجسد، يرجع إلى كتابة اسمه على أبواب الجنة وأوراقها وقبابها وخيامها، وكتابة اسمه ﷺ على ساق العرش، وهو أعظم الأجرام على الإطلاق تناسب كونه ﷺ أعظم المخلوقات كذلك ..

٣- حديث: خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ

عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ قال { خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ أَدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدْتُ أَيْمَى وَأُمَى لَمْ يُصْبِتْنِي مِنْ سِفَاحٍ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ } رواه الحافظ محمد بن يحيى بن أبي عمر السعدي في مسنده قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: أشهد على أبي يحيى عن أبيه عن جده عن علي به، وهذا مسلسل بأهل البيت النبوي الشريف^(١) ورواه أيضاً الطبراني في المعجم الأوسط وأبو نعيم في دلائل النبوة، وابن عساکر في التاريخ، وورد نحوه من حديث ابن عباس وعائشة وغيرهما .

قوله { خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ } أخرج يفتح الهمزة وضم الراء مبنياً للفاعل . وهكذا تلقينه عن شقيق الحافظ أبي القيس أثناء حضورنا عليه بزاويتنا الصديقة بطنجة، صبرها الله يذكره، وهو المتجه من جهة المعنى أيضاً، فاحتمال بنائه للمجهول، كما فهم بعض الناس فليط، والسيفاح بكسر السين الزنا، وهذا الحديث أحد الأدلة على طهارة نبيه ﷺ، وفي معناه أحاديث كثيرة من ابن عباس بألفاظ وطرق عند ابن سعد والطبراني وأبي نعيم وابن عساکر، وعن عائشة عند ابن سعد وابن عساکر، وعن أبي هريرة عند ابن عساکر، وعن أنس عند ابن مردويه وعن غيرهم، على أن طهارة نبيه الشريف لا تحتاج إلى بيان، ولا يعوزها برهان، إذ لم يتنازع فيها اثنان، فهو ﷺ الطاهر المطهر أما وأياً، الطيب المطيب أصلاً ونسباً، ومن شك في هذا فليس مسلماً، وبالله التوفيق .

(١) روى الخطيب في التاريخ عن محمد بن عبد الله بن طاهر قال: كنت واقفاً على رأس أبي، وعنده أحمد بن حنبل، وإسحق بن وهبة، وأبو الصلت الهروي، فقال أبي: ليحدثني كل رجل منكم بحديث، فقال أبو الصلت: حدثني علي بن موسى الرضا، وكان والله رهاً كما سمى، عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسيني قال: قال رسول الله ﷺ {الإيمان قولاً وعملًا} فقال بعضهم ما هذا إلا سواد فقال له أبي: هذا معطو المجانين، إذا سقط به المجنون برأ .

٥ - حديث: { إني عبد الله وخاتم النبيين }

عن البرزاه بن سارية أن رسول الله ﷺ قال { إني عبدُ الله وخاتمُ النبيين وإن آدمَ لم يجدْ في طينته وسأخبركم عن ذلك دعوةُ أبي إبراهيم وبشارةُ عيسى ورؤياُ أمي التي رأتُ وكذلك أمهاتُ الأنبياءِ برئان } وإنَّ أمَّ رسول الله ﷺ رأتُ حين وضعته نوراً فضاء له قصورُ الشام حتى رآها { رواه أحمد والبيهقي والطبراني والبيهقي، وصححه ابن حبان والحاكم، وأقر تصحيحها الحافظ .

قوله { إني عبد الله وخاتم النبيين } .. الخ، هذا يؤيد ما قدمناه من تقدم خلق حقيقته أو روحه، واتصافها بالنبوة وآدم منجدل في الطين .

وفي رواية { إني عند الله لخاتم النبيين } .. الخ، ومعنى العندية هنا القرب المعنوي من بساط الحضرة الإلهية، أي: إني في بساط القرب وقاض على وصف خاتم النبيين وآدم لا يزال منجدلاً في الطين، أي: لا يزال جسماً مصوراً من الطين لم تنفخ فيه الروح، وفي هذا من عظم قدر نبينا وعلو منزلته ما لا يحتاج إلى بيان .

فائدة: جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال { إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء } ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب أن محمداً خاتم النبيين، فهذا وجود كتابي بمعنى أن الله كتب اسمه الشريف ونعته المنيف حين كتب مقادير الأشياء في أم الكتاب .

وتم وجود سابق على هذا الوجود وهو الوجود العلمي. أي: أنه كان معلوماً لله تعالى منذ القدم؛ ضرورة إحاطة العلم القديم، بجميع معلومات موجودات ومعدومات .

وهذان الوجودان أهني العلمي والكتابي مجازيان، وغير خاصين بالنبي ﷺ وإنما المختص به وجود حقيقته أو روحه وجوداً خارجياً، وإفاضة وصف النبوة عليه، كما سبق والله أعلم .

قوله: وسأخبركم عن ذلك، أي: سأخبركم عن تصديق ذلك، فالكلام على حذف مضاف كما تبين .

قوله: دعوة أبي إبراهيم، يشير إلى قوله تعالى حكمة منه ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [مائدة: ١٠٩] .

قوله: وبشارة عيسى، يشير إلى قوله تعالى على لسانه ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [سجدة: ٢٦] .

قوله: ورؤيا أمي، هذه رؤية عين، وكذلك أمهات الأنبياء برين: أي: برين ما يدل على نبوة أولادهم.

قوله: وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام حتى رأتها أي: معاينة، ولابن سعد من طريق ثور بن يزيد عن أبي المجطاء عن النبي ﷺ قال { رأت أمي حين وضعتني سطح منها نوراً أضاءت له قصور بصرى } وبصرى موضع بالشام.

ولأبي نعيم من طريق عطاء بن يسار، عن أم سلمة عن آمنة قالت ((لقد رأيت ليلة وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها))

وروى الطبراني والبيهقي وأبو نعيم وابن السكن وغيرهم عن عثمان بن أبي العاص قال: حدثتني أمي أنها شهدت ولادة النبي ﷺ، قالت: فما شئ أنظر إليه في البيت إلا نور، وإنني لأنظر إلى النجوم تدنو، حتى أني أقول لتقمن علي، فلما وضعت آمنة خرج منها نور أضاء له البيت والدار، حتى جعلت لا أرى إلا نوراً.

ثم هو ﷺ خرج من السبيل المعتاد للولادة، طاهراً نظيفاً ما به فقرة، كما ورد عن شاهده، فإدهاء بعضهم أنه خرج من موضع فوق السرة أو دونها^(١) لا أصل له، ولا دليل يؤيده - والله أعلم.

وفي دعوة إبراهيم: وبشارة عيسى عليهما الصلاة والسلام، ورؤية والدته وغيرها للنور، دلالة صريحة وشهادة حق على تقدم نبوته، وسبق فضيلته -: هو ظاهر، وبالله التوفيق.

٦ - حديث: { من لقينى وهو جاحد دخل النار }

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ { أُرْخِي اللَّهُ إِلَى مُوسَى نَبِيَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ لَقِينِي وَهُوَ جَاهِدٌ بِأَحَدٍ أَدْخَلْتُهُ النَّارَ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَنْ أَحَدٌ؟ قَالَ ﷺ: مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَىَّ مِنْهُ، كَتَبْتُ اسْمَهُ مَعَ اسْمِي فِي الْعَرْشِ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنْ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيَّ جَمِيعَ خَلْقِي حَتَّى يَدْخُلَهَا هُوَ وَأَمَتُهُ، قَالَ: وَمَنْ أَمَتُهُ؟ قَالَ ﷺ: الْحَمَادُونَ يَحْمَدُونَ صُومُوا وَهُبُوطاً وَعَلَى كُلِّ حَالٍ يَسْتَحُونَ أَوْسَاطَهُمْ وَيُظْهِرُونَ أَطْرَافَهُمْ صَائِمُونَ بِالنَّهَارِ رَهَبَانٌ بِاللَّيْلِ أَقْبَلُ مِنْهُمْ الْيَسِيرَ وَأَدْخِلْتُهُمُ الْجَنَّةَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ:

(١) وكذلك النصارى يعتقدون أن عيسى ﷺ خرج من جنب أمه، أو من موضع فوق سرتها، وذلك باطل، لا أصل له، بل هو مولود من المكان المعتاد لولادة البشر.

اجعلنى نبي تلك الأمة ! قال ﷺ: نبيها بنها، قال: اجعلنى من أمة ذلك النبي ! قال ﷺ: استغنيت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال { رواه أبو نعيم فى الحلية .

قوله ﷺ: من لقينى وهو جاحد بأحمد أدخلته النار، أى: من لقينى من بنى إسرائيل، قوم موسى وهو كافر بأحمد، أدخلته النار، وذلك لأن الله أخبرهم فى التوراة، وبشرهم به موسى ﷺ، فمن جحد به بعد ذلك كان مكذباً لله ورسوله، وهو كافر، يوجب الخلود فى النار .

قوله ﷺ { ما خلقت خلقاً أكرم على منه }^(١)، أكرم أفعل تفضيل من الكرامة، أى: ما خلقت خلقاً له من الكرامة عندى مثله، وفى هذا دليل تفضيله على الملائكة، وهو إجماع إلا ما كان من ابن حزم فإنه فضل الملائكة عليه، وإلا ما كان من الزمخشري فإنه فضل جبريل ﷺ، وهذان قولان فى غاية الشذوذ، لا يعتبر بهم، يقابلهما فى الشذوذ قول: من فضل عوام المؤمنين على عوام الملائكة، وليس فى الملائكة عوام، بل كلهم رسل معصومون، قال الله تعالى ﴿ جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ (البقرة: ١) وقال جل شأنه ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم: ٦) .

قوله ﷺ { كتبت اسمه مع اسمى فى العرش } .. الخ، أى كتبت [لا إله إلا الله محمد رسول الله] وهذا وارد فى حديث توسل آدم وغيره .

قوله ﷺ { إن الجنة محرمة على جميع خلقى } .. الخ. هذا من الخصائص التى أختصه الله بها فهو أول من يقرع باب الجنة ويدخلها، وأمه أول الأم دخولا الجنة، وهذه الفضيلة إنما نالها الأمة إكراماً لنبيها ﷺ وللطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال { الجنة حُرمت على الأنبياء حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي } وروى أيضاً من حديث ابن عباس نحوه .

قوله ﷺ { الحمادون } صيغة مبالغة أى كثيرو الحمد. ثم فر كثرة حمدهم بقوله: يحمدون - يفتح الياء والميم - صموداً إذا صعدوا جبلاً وهبوطاً إذا هبطوا وادياً، ويحمدون على كل حال من ثمة ورخاء، وهؤس ونعماء، وهذا كان حال الصحابة والتابعين والسلف الماضين، ولا يزال موجوداً إلى الآن، وإن كان قليلاً .

(١) والحرث بن مسافر فى التاريخ عن عبد الرحمن بن غنيم عن النبي ﷺ قال { سلم على ملك ثم قال لى: لم أزل أستاذن ربى ﷺ فى لقاءك حتى كان هذا ألوان أذن لى وإنى أخيرك أنه ليس أحد أكرم على الله منك } وقد شرحت هذا الحديث فى كتاب (القرائب والوجدان) .

قوله ﷺ: { يمشون أوساطهم } أى: يأتزرون على أوساطهم، ويطهرون أطرافهم
أى: يتوضأون ومقتضى هذا أن الوضوء من خصوصيات الأمة المحمدية، وفى ذلك خلاف:
صائمون بالنهار رهبان بالليل: أى: يقومون الليل ويحيونه بالصلاة والعبادة .

قوله ﷺ: { أقبل منهم اليسير من العمل } أى: تيسيراً عليهم، ولا أكلفهم
بالتكاليف الشاقة، كما قال تعالى فى حق رسوله ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي
كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف: ٢٥٧) .

قوله ﷺ: { وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله } أى: وأن (محمد رسول
الله) لأنها قرينتها .

ما علم موسى ﷺ ببعض خصوصيات هذه الأمة، طلب أن يكون نبياً لها، فأخبره الله
تعالى أن نبيا منها، أى: مريم من ولد بن إسماعيل، وموسى إسرائيلى، فطلب أن يكون من أمته
فأخبره أن وقت ظهوره متأخر عنه، ولكن وعده أن يجمع بينهما فى نار الجلال، وهى الجنة^(١) .

وفى معنى هذا الحديث ما رواه الزبير بن بكار والطبرانى من حديث ابن مسعود
ولفظه { صفته أحمد المتوكل، مولده مكة ومهاجرة إلى طيبة، ليس بلفظ ولا غليظ، يجزى
بالحسنة الحسنة، ولا يكافى بالسيئة، أمته الحمادون، يأتزرون على أنصافهم، ويوضئون
أطرافهم: أناجيلهم فى صدورهم. يحفون للصلاة كما يحفون للقتال. قربانهم انذى بتقريب
به إلى دماؤهم - رهبان بالليل، ليوث بالنهار } .

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة، كلها متضافرة على التنويه بقدر نبينا ﷺ وببيان فضله .
وفضيلة أمته بالتبعية له، وقد أشار الله تعالى إلى بعض ذلك فى سورة الفتح بقوله ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ
اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَجِدَاءُ عَلَى الْكُفَرِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ
أُخْرِجَ شُعْبَاهُ فَأَنزَلَهُ فَلَمَّا نَمَوْا عَلَى سَوَابِهِ يَمْحَقُ الزَّرْعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَرُ وَهَذَا اللَّهُ الَّذِي
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (فتح: ٢٩) . والله أعلم .

(١) وسميت فى أحاديث أخرى حطيرة القدس أيضاً ..

٧ - حديث: أفضل الأنبياء محمد ﷺ

من عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ { قال لي جبريل: قُلبت مشارق الأرض ومغاريها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ولم أجد نبياً أب أفضل من بني هاشم } رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما، وقال الحافظ ابن حجر: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن.

قوله { قال لي جبريل: قُلبت مشارق الأرض } .. الخ، هذا المصوم لا يشمل جبريل عليه السلام وإن كان الصحيح عند الجمهور أن المخاطب - بكسر الطاء - يدخل في عموم خطابه، لقوله: فلم أجد رجلاً، والملك لا يسمى رجلاً، كما لا يسمى أنثى، ولهذا فإنه قال: قُلبت مشارق الأرض ومغاريها، ولم يتعرض لسكان السموات الذين جبريل منهم، والحاصل: أن هذا الحديث يدل على الخطية النبي ﷺ على أهل الأرض، أما سكان السموات، فلا فضولته عليهم.

أدلة أخرى: منها الحديث رقم (١١) "ولابن عساكر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ { ما ولدتنى بنى قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تنازعنى الأم كاهراً عن كاهر، حتى خرجت من أفضل حين من العرب هاشم وزهرة } .

قوله: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن، أى: لوائح الصحة ظاهرة .. الخ، وهذه اللوائح اللوامع هى: موافقة الحديث للمتقول، ومطابقته للأصول، وانعقاد الإجماع على مضمونه، والله أعلم .

٨ - حديث: أسماء النبي ﷺ

عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول { إن لي أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي: الذى يمحو الله به الكفر، وأنا الجاشر: الذى يُخَشِّرُ الناس على قدسي وأنا العاقب، والعاقب الذى ليس بعده نبي } رواه البخاري ومسلم .

قوله: إن لي أسماء، أى: كثرة، نقل ابن العربي فى شرح الترمذى والأحكام عن بعض الصوفية: إن لله تعالى ألف اسم، وللنبي ﷺ ألف اسم، قال الحافظ السيوطي: ألغت كتاباً على شرح أسماءه الكريمة، أوردت فيه ثلاثمائة وأربعين اسماً مأخوذة من القرآن والأحاديث والكتب القديمة . أهـ .

(١) والحديث المار قبل هذا تحت رقم (٦) وحديث ابن عساكر الذى ذكرت تعليقات عليه ..

وسردها القسطلاني في (المواهب اللدنية) فزادت عن أربعمائة، تتبعها من كلام
صهاص في (الشفاء) وابن العربي في (الأحكام والقبس) وابن سيد الناس في سيرته .
والسخاوي في (القول البديع) .

قال القاضي عياض: وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنی بنحو من ثلاثين
اسماً . اهـ . وأسماءه كلها أوصاف تدل على مدحه وفضله ، ثم ذكر النبي ﷺ من أسمائه خمسة :
الأول: محمد .. ومعناه: المحمود حمداً متكرراً .

الثاني: أحمد .. ومعناه: أحمد الحامدين لربه ، أي: أكثرهم حمداً، قال القاضي
صهاص: كان ﷺ أحمد قبل أن يكون محمداً، كما وقع في الوجود، لأن تسميته أحمد
وقعت في الكتب السالفة، وتسميته محمداً وقعت في القرآن، وذلك أنه حمد ربه قيل أن
يحمده الناس . اهـ، وذلك لأنه خلق قبلهم كما سبق، ونحو هذا للسهلي أيضاً في
(الروض الأنف) وسلمه الحافظ في اللتح: فاعترض ابن القيم عليه، وليس بجهد .

الثالث: الماحي .. ومعناه: الذي يمحي الله به الكفر من الجزيرة العربية، ومن سائر
البلاد التي وصلت إليها دعوته وصاروا كلهم أو أغلبهم مسلمين .

الرابع: الحاشر .. وهو مفسر في الحديث: وقوله: قدمي ضبط بتخفيف الياء وكسر
الميم على الإفراد، وضبط بفتح الميم وتشديد الياء على تثنية، ومآل اللفظيين واحد، أي:
يحشر الناس على أثر زمني، لأنني آخر الأنبياء ليس بعدي نبي .

الخامس: العاقب .. وهو مفسر في الحديث، ومعناه: الذي جاء في عقب الأنبياء
وكان آخرهم، فلا نبوة بعده .

ومن أسمائه ﷺ في القرآن: عبد الله، النبي، الرسول، رسول الله، البشير، النذير، السراج
المنير، الناصي إلى الله بأذنه، الشاهد، الشهيد، الخور الرؤوف، الرحيم، اللطيف، المزل، خاتم
النبيين، إلى غير ذلك مما استخرجه العلماء، ولا شك أن كثرة الأسماء، تدل على شرف المسمى
وثباته قدره، ومن أسماء الله التي سمي بها النبي ﷺ رؤوف، رحيم، نور، شهيد، كريم، مهين .

تفصيل

ذكر الحافظ أبو نعيم وتبعه غير واحد: أن الله تعالى لم يخاطب نبيه في القرآن

باسمه المجرد، بل خاطبه بالوصف الدال على الرقة وعلو القدر، نحو: يا أيها النبي. يا أيها الرسول، يا أيها المدثر، يا أيها المزمل، ونادى غيره من الأنبياء بأسمائهم: يا نوح. يا إبراهيم، يا داود. وهكذا، وأمرنا أن لا نناديه باسمه فقال ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ (النور: ٢٣) قال ابن عباس وغيره: لا تقولوا يا محمد، يا أبا القاسم، ولكن قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، انتهى باختصار.

والوهابية وأشكالهم من الملحدين، يعرضون عن هدى القرآن، ويخالفون أمر الله. ويبأون إلا أن يذكره باسمه المجرد كأحد الناس، والعجب أن الواحد منهم يسود نفسه. ويخلق عليها الأوصاف الجميلة، مع أن الله يقول ﴿ فَلَا تَزَكُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (النجم: ٣٢) فإذا جاء ذكر سيد الخلق بخلوا على اسمه بالسيادة التي يصفون بها أنفسهم، قاتلهم الله، ما أكثر إساءة أدبهم على الله ورسوله.



٩ - حديث: إثبات التمييز في بعض الجمادات

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ { إِنِّي لأعرفُ حجراً بمكة كان يسلمُ عليَّ قبل أن أبعثَ إِنِّي لأعرفُهُ الْآنَ }^(١) رواه مسلم في صحيحه وغيره، وللترمذي عن علي بن أبي طالب: قال: كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله.

قلت: قصة تسليم الحجر والشجر عليه، واردة من طرق.

قوله: { إِنِّي لأعرفُ حجراً بمكة كان يسلمُ عليَّ قبل أن أبعثَ إِنِّي لأعرفُهُ الْآنَ } قال النووي: في هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة ﴿ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَغْشَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (البقرة: ٧٤) وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّا لَنُنْجِي بَحْمَدِهِ ﴾ (الإسراء: ١٤) وفي هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة ويجعل الله فيه تمييزاً بحسبه كما ذكرنا، ومنه الحجر الذي فر يثوب موسى ﷺ وكلام النزاع المسومة ومشي إحدى الشجرتين إلى الأخرى حين دعاهما النبي ﷺ، وأشبه ذلك اهـ.

(١) يسمى هذا الخارق إرهاباً، لوقوعه قبل البعثة، ومعنى الإرهاب: الإرعاس، بأن من وقع له الخارق، سيكون لهيباً، ويأخذ من الحديث، إلهام الجماد بنبوة النبي قبل وقوعها، وهذا كما تنبأ بعض الحيوانات بالزلزال قبل وقوعه.

وقال ابن العربي في الأحكام في الكلام على قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ما لفظ المراد منه: ليس يستحيل أن يكون للجمادات فضلاً عن البهائم ثم تسيح بكلام وإن لم تفقهه نحن عنها، إذا ليس من شرط قيلم الكلام بالمحل عند أهل السنة هيئة آدمية ولا وجود بلة ولا رطوبة، وإنما تكفى له الجوهرية أو الجسمية خلافاً للفلاسفة والخوانهم من القدرية الذين يرون: الهيئة الآدمية، والبلة والرطوبة شرطاً في الكلام، فإذا ثبت هذا الأصل بأدلة التي تقررت في موضعه، ويأن كل عاقل يعلم أن الكلام في الآدميين قرأه يخلقه الله فهم، وليس يفتر العراض إلا لوجود جوهر أو جسم يقوم به خاصة، وما زاد على ذلك من الشروط فإنما هي عادة.

وللباري تعالى نقض العادة، وخرقها بما شاء من قدرته لن شاء من مخلوقاته وبهرته، ولهذا حزن الجذع لرسول الله ﷺ وسبح الحمى في كفه وكف أصحابه، وكان بمكة حجر يسلم عليه قبل أن يبعث، وكانت الصحابة تسمع تسيح الطعام ببركته ﷺ، ولم يكن لذلك كله بنية ولا وجدت له رطوبة ولا بلة، وعلى إنكار هذه المعجزات وإبطال هذه الآيات، حامت بما ابتدعته من المقالات. أهـ.

والأحاديث التي أشار إليها هو والنزوى صحيحة، والمقصود أن تسلم الحجر والشجر كما في هذا الحديث، وحديث عليّ الذي بعده معجزة عظيمة: أكرم الله بها نبيه وثبت به فؤاده، وقوى به حجته.

ففي مسند البزار وأبى يعلى ودلائل النبوة للبيهقي، وأبى نعيم بإسناد حسن: عن عمر بن الخطاب: أن رسول الله ﷺ كان على الحجون كنيباً لما أذاه المشركون، فقال في اللهم أرني اليوم آية لا أبالي من كذبتني بعدها، فأمر فتادى شجرة من جانب الوادي فأقبلت تخذ الأرض - تشق - خذاً حتى وقعت بين يديه "فلمست عليه ثم أمرها فرجعت إلى موضعها، فقال: لا أبالي من كذبتني بعدها من قومي { وتمددت هذه القصة لمناسبات كثيرة، كما ورد في كثير من الأحاديث، وسنشير إلى بعضها.

وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود قال: كنا نأكل مع النبي ﷺ ونحن نسمع تسيح الطعام، قال العلماء: في هذا تصريح بكرامة الصحابة لسماع هذا التسيح وفهمه، وذلك ببركته ﷺ.

(١) يسمى هذا الخلق آية تثبيت، لأنه ثبت فؤاد النبي ﷺ وقوى عزمه، وكان تبخيراً له باتتليد الخلق إليه بعد ذلك، وإجابتهم لدعوته.

قوله: ولترمذى عن علي عليه السلام .. الخ، رواه أيضاً الدارمي والحاكم وصححه،
وللبزار وأبى نعيم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ { لما استقبلني جبريل بالرسالة
جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله }^(١) وسألت مزيد لهذا
في الحديث الثالث عشر بحول الله تعالى .

تنبيهات

الأول: قوله في حديث الترجمة { إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على {
اختلف في هذا الحجر، فقيل: هو الحجر الأسود - وفيه بعد - وقيل حجر غيره يزقان
يعرف به بمكة والناس يتبركون بلمسه، كذلك رواه الإمام أبو عبد الله ابن رشد (بضم الراء)
في رحلته بإسناده إلى أبي حفص الميانشي، عن لقيه بمكة من أهلها .

الثاني: سئل الحافظ السيوطي عن رجل بيده حجر يلور يقعد على الطرقات ويقول:
الأحجار سلمت على النبي ﷺ، وهذا الحجر من جنسها، فقال له رجل: كذبت، فأيهما
المخطئ؟ فأجاب: ثبت من طرق صحيحة أن الأحجار سلمت على النبي ﷺ، ولكن البلور
بخصوص لم يرد فيه حديث، انتهى باختصار من كتاب (الحاوي للفتاوى) للسيوطي .

الثالث: ذكرت آنفاً أن الأحاديث التي أشار إليها النووي وابن هري، فيما نقلته
من كلامهما صحيحة، وهى كذلك، إلا حديث تسبيح الحصى فى كفه وكف أصحابه،
فإنه حديث ضعيف، رواه البزار والطبراني فى الأوسط وأبو نعيم والبيهقى فى الدلائل، وهو
حديث مشهور على الألسنة، متداول بين الناس، وضعفه ليس بشديد، وهو فى مثل هذا
الباب مقبول لاسيما مع تأييده بقوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُنْزِلُ بِهِ خَمِيمٌ ﴾ (الإسراء: ١١)،
وبحديث تسبيح الطعام وتسلم الحجر والشجر، وأقنه أعلم .

١٠ - حديث: أنشق القمر

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق

(١) وروى البيهقى عن جابر بن عبد الله قال: لم يكن النبي ﷺ يمر بحجر ولا شجرة، إلا سجد له،
وهذا فى ابتداء نبوته، تنبيهاً له أيضاً ..

الجبيل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ { اشهدوا } رواه البخارى ومسلم، ولهذه القصة طرق عن ابن مسعود وأنس وابن عباس عند البخارى ومسلم، وعن ابن عمر عند مسلم فى صحيحه، وعن جبير بن مطعم عند أبى نعيم والبيهقى وغيرهما .

قوله: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، لهذا الحديث ألفاظ فى الصحيحين هذا أحدهما .

ثانيهما: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى، إذ انطلق القمر فلتقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ { اشهدوا } .. زاد الترمذى فى روايته: يعنى: (اقتربت الساعة وانشق القمر) ثم قال: هذا حديث حسن صحيح، وفى رواية أبى داود الطيالسى عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقال كفار قريش: هذا سحر ابن أبى كبشة، قال: فقالوا انظروا ما يأتىكم به السفار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فقال: فجاء السفار فأخبروهم بذلك، وفى رواية البيهقى فسألوا السفار: وقد قدموا من كل وجه فقالوا: رأيناه .

وفى الصحيحين عن أنس: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقين، وفى رواية مرتين، رواه الترمذى وزاد فيه: فنزلت ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (القمر: ١) إلى قوله ﴿ بَخْرٌ مُّثْقَرٌ ﴾ (القمر: ٢٠-٢١) يقول: ذاهب^(١)، ثم قال: هذا حديث حسن صحيح. وفى الصحيحين عن ابن عباس قال: إن القمر انشق على زمان الرسول ﷺ وفى صحيح مسلم عن ابن عمر قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلتقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل، فقال رسول الله ﷺ { اللهم اشهد } ورواه الترمذى ينحو مختصر، وقال حديث حسن صحيح .

وللبيهقى عنه فى قوله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ قال: قد كلن ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلتقتين، فلقة دون الجبل، وفلقة فوقه، فقال ﷺ { اشهدوا } وهذا تفسير صحابى للآية، وتقدم تفسيرها بذلك عن أنس أيضاً، ويمأتى تفسيرها عن حذيفة، وكل ذلك يؤكد أن انشقاق القمر وقع معجزة للنبي ﷺ .

أما الذين أولوا الآية على معنى: سينشق القمر عند اقتراب الساعة، فبرده أمران:

١ - مخالفته لتفسير الصحابة الذين شهدوا القنزل، وشاهدوا انشقاق القمر .

(١) أى ذاهب فى الناس، شائع بهينهم، قالوا هذه الكلمة لما سألوا المسافرين، فأخبروا أنهم رأوه منشفاً.

٢ — أن القمر لا ينشق عند قرب الساعة، بل يجمع مع الشمس ويكوران، لقوله تعالى ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ (الدِّين: ١) ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ (التكوير: ١) أى: والقمر معها كما ثبت في الحديث .

وفى سنن الترمذى عن جبير بن مطعم، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فلقين، على هذا الجبل وعلى هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا، ما يستطيع أن يبحر الناس كلهم، وكذا هو فى مسند الإمام أحمد. وفى رواية أبى نعمان والبيهقى عنه: انشق القمر ونحن بمكة^(١)، وفى رواية أبى حذيفة الأرحبى عن على بن فضال: قال: انشق القمر ونحن مع النبی ﷺ . رواه الطحاوى فى مشكل الآثار، وورد حديث الانشقاق أيضاً عن حذيفة من طريق أبى عبد الرحمن السلمى، ومسلم بن أبى عمران الأزدى، والطبرانى والحاكم وغيرهما من طريق ابن علية عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن، قال: خطب حذيفة بالمدينة فقال: أن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد رسول الله ﷺ، وذكر حديثاً طويلاً، ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم أيضاً .

قال الحافظ بن عبد البر: قد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم نقله عنهم الجهم الغفير إلى أن انتهى إلينا، وثأيد بالآية الكريمة، اهـ .

وقال العلامة تاج الدين ابن السبكي فى شرحه المختصر ابن الحاجب: والصحيح عندى أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه فى القرآن مروى فى الصحيحين وغيرهما، من طرق من حديث شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن أبى معمر عن ابن مسعود ثم قال: وله طرق شتى بحيث لا يمتري فى تواتره، اهـ .

وفى القاضى عياض فى الشفاء: قال الله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا بَحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿ القمر ٢ ﴾ أخبر تعالى بوقوع انشقاق القمر بلفظ الماضى واعراض الكفرة عن آياته وأجمع أهل السنة والمفسرون على وقوعه، اهـ .

ثم ذكر بعض الطرق، وأجاب عن اعتراض بعض المبتدعة فأجاد، وقال فى الشفاء أيضاً: أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه، وأخبر عن وجوده، ولا يمدل عن ظاهره إلا بدليل، وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة، فلا يوهن عزمنا خلاف أخرج

(١) جبير بن مطعم، شاهد انشقاق القمر بمكة وهو مشرك، ثم أسلم بعد ذلك وأخبر بما شاهده .

منحل يرى الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين، بل نرغم بهذا أنه، وننبذ بالعراء سخفه، اهـ .

وقال الإمام الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السموات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبايع، فليس فيها يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر، اهـ .

وقال الإمام النووي في شرح مسلم: قال القاضي - يعني عياضاً في شرح مسلم أيضاً - انشقاق القمر من أميات معجزات النبي ﷺ، وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها. قال الزجاج في كتاب (معاني القرآن) وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة، وذلك لما أصمى الله قلبه، ولا إنكار للعقل فيها، لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء، كما يفنيه ويكرهه في آخر أمره، وأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواتراً واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته، ولم يختص به أهل مكة، فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل في الليل، ومعظم الناس نيام غافلون، والابواب مغلقة وهم متغفون في ثيابهم .

تقل: من يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ الفادر، وما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره من العجائب. والأتوار الطوالع والسبب العظيم. وغير ذلك مما يحدث في السماء في الليل يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد، ولا علم عند غيرهم كما ذكرنا. وكان هذا الانشقاق آية حصلت في الليل، نقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتنبه غيرهم لها .

وقالوا: قد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض الأفاق دون بعض، كما يكون ظاهراً لقوم غائباً عن قوم. كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم، اهـ^(١). وبقيّة الأجوبة مبسطة بإيضاح في الشفاء والمواهب وشروحيهما .

وقال الحافظ العراقي في (ألفية السيرة) وانشق مرتين بالإجماع، قال الحافظ ابن حجر: قوله بالإجماع متعلق بانشق لا بمرتين، فإنني لا أعلم من جزم بتعدد الانشقاق، قال

(١) من اللطائف في هذا الباب أن أبا بكر الباقلائي، لما أرسله صاحب الدولة إلى ملك الروم بالقسطنطينية (القسطنطينية) وعلم ملك الروم أن هذا أجل علماء المسلمين، أحضر بعض بطاركة لهناظره، فقال له: ترعصون أن القمر انشق لتنبئكم. فهل للقمر قرابة منكم حتى تروونه دون غيركم؟ فقال له: وهل بينكم وبين المائدة أخوة أو نسب، إذ رأيتموها ولم تراها اليهود والنصارى والمجوس الذين أنكروها وهم في جواركم؟ فانتقطع ولم يحر جواباً .

ولعل قائل مرتين - أى: كما فى بعض الروايات - أراد فرقتين، وهذا الذى لا ينتج عنه
جمعاً بين الروايتين .

تنبيهات

الأول: فى ضبط ألفاظ الحديث، قوله: شقتين، هو بكسر الشين، وكذلك فلتقتين وفرقتين، ومعناها واحد أى: صار قطعتين متباينتين، بحيث روى الجبل بينهما، والسفار - بضم السين وفتح الفاء المشددة - جمع سافر، وهم القوم للمسافرون، وبقيّة ألفاظ الحديث واضحة .

الثانى: ما يذكره بعض القصاص واشتهر بهن كثير من العوام من أن القمر دخل فى جيب النسي ﷺ وخرج من كفه، ليس له أصل كما نقله بدر الدين الزركشى عن شيخه الحافظ ابن كثير، ووافقه غير واحد، وسئل الإمام النووى رحمه الله عن رجلين تنازعا فى انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: انشق فرقتين، دخلت إحدهما فى كفه، وخرجت من الكف الآخر، وقال الآخر: بل نزل إلى بين يديه فرقتين، ولم يدخل كفه، فأجاب: الاثنان مخطئان، بل الصواب: أنه انشق وهو فى موضعه من السماء، وظهرت منه إحدى الشقتين فوق الجبل، والأخرى دونه، هكذا ثبت فى الصحيحين من رواية مسعود ﷺ أنه .

قلت: كوكب القمر مساحته مثل مساحة الكرة الأرضية، فمن المحال عقلاً أن تدخل شقة منه فى كم النبي ﷺ أو تنزل بين يديه .

الثالث: شاهد انشقاق القمر فى الليلة التى وقع فيها ملك بهوبال من الهند^(١) واسمه بهوج مال، ذكره الفرشت^(٢) فى تاريخه، ونقله العلامة المحدث محمد أنور الكشميرى فى فيض البارى فى شرح صحيح البخارى، وجاء فى السنة الأولى من مجلة (الإنسان ص ١٥٠ - ١٥١ من العدد الصادر فى ٣٠ شوال سنة ١٣٠١ هـ) تحت عنوان (انشقاق القمر) ما لفظه: أخبر بعض السواحين الجائلين فى بلاد الصين، أنه يوجد معبد عظيم فى إحدى مدائن هذه المملكة مكتوب على بابه: أنه قد تم بناؤه فى تاريخ كذا، وأنه فى ليلة تمام البناء شاهد الجميع انشقاق القمر نصفين، فى وسط السماء، وبالتحقيقات التى أجراها فى ذلك التاريخ وجد

(١) وشاهده أيضاً جماعة كثيرة من بلاد مختلفة، كما ذكره الحافظ بن كثير فى تاريخه .
(٢) الفرشت: لقب المؤلف، واسمه: الحكيم محمد قاسم البهجاپورى، وتاريخه فى أربعة أجزاء، كتب بالفارسية، وترجم إلى الأوربية، الله لإبراهيم عادل شاه، ملك بهجاپور، وكان شاعراً، فرغ من تأليفه سنة ١٠١٥ هـ كذا فى نزهة الخواطر ج ٥ ص ٣٨٥ .

أن تلك الليلة كانت موافقة لليلة التي انشق فيها القمر بإشارته ﷺ، فمن يوصلنا إلى زيادة إيضاح في هذه الآية الكبرى أعدنا له المكافأة شكرانا لا ينقطع مدي النهر. اهـ^١.

انرايع: ورد أن الشمس ردت على النبي ﷺ فروى الطحاوي في (مشكل الآثار) من طريقين^٢ عن أسماء بنت عميس قالت: كان النبي ﷺ يوحى إليه وأسه في حجر علي، فلم يصل العصر، حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ {أصلبت يا علي} فقال: لا. فقال رسول الله ﷺ {اللهم إن كان في طاعتك وطاعة رسولك فائدة عليه الشمس} قالت أسماء: قرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والأرض، وذلك في الصبأ بخيبر.

قال الطحاوي: هذان الحديثان ثابتان، ورواهما ثقات، ونقل عن الإمام أحمد بن صالح المصري، أنه كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء، لأنه من علامات النبوة. اهـ. ووافق الطحاوي على تصحيحه أيضاً القاضي عياض في الشفاء، ورواه الطبراني في الكبير^٣ بإسناد حسن كما نص عليه الحافظ أبو زرعة ابن

(١) انظر المجلد الأول من مجلة الإنسان بذكر الكتب تحت رقم ٨٧٣ دوريات.

(٢) قال في الطريق الأول: حدثنا أبو أمية ثنا عبيد الله بن موسى العباسي ثنا فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عميس: وقال في الطريق الآخر حدثنا علي بن عبد الرحمن بن محمد بن الفيرة ثنا أحمد بن صالح - هو الحري الحافظ المشهور - ثنا ابن أبي فديك حدثني محمد ابن موسى عن هون بن محمد عن أم جعفر عن أسماء بنت عميس ع^٤.

(٣) قال حدثنا جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي ثنا علي بن المنذر ثنا محمد بن فضيل ثنا فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت علي عن أسماء بنت عميس، وهؤلاء الحافظ في الفتح إلى الحاكم والبيهقي أيضاً، ونص كلامه: وروى الطحاوي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في الدلائل عن أسماء بنت عميس أنه ﷺ لما نام على ركة على فرائقه صلاة العصر، فردت الشمس حتى صلى على ثم غربت، وهذا أبلغ في المعجزة. وقد أخطأ ابن الجوزي بإبرائه في (الموضوعات) وكذا ابن تيمية في كتاب (الرد على الروافض) في زعم وضعه. والله أعلم اهـ بلفظه.. وقال الحافظ أبو بشر الدوابي في كتاب (الفرقة الطاهرة) حدثني اسحق بن يونس ثنا سويد بن سعيد عن المطلب بن زياد عن إبراهيم بن حبان عن عبد الله بن الحسين عن فاطمة بنت الحسين عن الحسين بن علي ع^٥ قال: كان رأس رسول الله ﷺ في حجر علي، وكان يوحى إليه، فلما سري عنه قال لي {يا علي صليت العصر؟} فقلت: لا، قال {اللهم إنك تعلم أنه كان في حاجتك وحاجة رسولك فرد عليه الشمس} فردها عليه، فصلى فغابت الشمس، قال العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن يوسف الدمشقي الصالح في جزء (مزيل اللبس عن حديث رد الشمس): أعلم أن هذا الحديث رواه الطحاوي في كتاب (شرح مشكل الآثار)، ومن أسماء بنت عميس من طريقين، وقال: هذان الحديثان ثابتان، ورواهما ثقات، ونقله القاضي عياض في (الشفاء) والحافظ ابن سيد الناس في (بشرى اللبيب) والحافظ علاء الدين مغلطاي في كتاب (الزهر الياسم) وصححه الحافظ أبو الفتح الأزدی، وحسنه الحافظ أبو زرعة ابن العراقي. وكفيخنا الحافظ جلال

المراقى فى (شرح التفرير) أما ابن الجوزى فذكره فى الموضوعات ، وتبعه ابن تيمية فحكم بوضعه أيضا فى رده على الروافض لأجل ذكر على فيه ، ولو ذكر أبو بكر أو عمر بدله ، كان أول المصححين له بكل قواه^(١) .

وانحراف ابن تيمية عن على وأهل البيت معروف ، وحتى حكم عليه بالانفلاق لأجل ذلك^(٢) .

== الدين السيوطى فى (الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة) وقال الحافظ أحمد بن صالح ، وناهيك به : لا ينهيك لن سبيله العلم ، اتخلف عن حديث أسماء ، لأنه من أصل علامات النبوة ، وقد أنكر الحافظ على ابن الجوزى بإبراده الحديث فى (الموضوعات) ، فقال الحافظ أبو الفضل ابن حجر فى باب قول النبي ﷺ أحلت لكم الفنائم من (فتح الباري) ، بعد أن أورد الحديث : أخطأ ابن الجوزى بإبراده فى (الموضوعات) . - له ، ثم قال : إن هذا الحديث ورد من طريق أسماء بنت هبيرة ، وعلى ، وابنه الحسين ، وأبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة ؓ ثم أوردها ، وتكلم على أساندها ثم قال : قد علمت مما أسلفناه من حكم الحفاظ فى هذا الحديث ، وتبين حال رجاله أنه ليس فيه منهم ولا من أجمع على تركه ، ولا لك ثبوت الحديث وعدم بطلانه ، ولم يبق إلا الجواب عما أهل به ، وقد أهل به بأمور ، فذكرها وأجاب عنها بأجوبة شافية . وكذا فى كتاب (الأمل لأيقظ الهمم) للعلامة المحقق الشيخ إبراهيم الكوراني ، قلت : حسن الحافظ السيوطى حديث أسماء فى لوائح الدرر المنتثرة ، وعزاه فى : الخصائص الكبرى (لابن شاهين ، وابن منده ، والطبراني ، وقال : بعض أسانده على شرط الصحيح ، وعزاه حديث أبى هريرة لابن مروة ، وذكر فى (الآلى المصنوعة) جزء لبعض المتقدمين فى طرق هذا الحديث ، أورده بقامه ، فراجع هناك ، بل للحافظ السيوطى نفسه جزء (كشف اللبس عن حديث رد الشمس) وذكر الذهبى فى ترجمة الحافظ الحمصانى أن له مجلسا - بمعنى مجلس إملاء - فى تصحيح حديث رد الشمس لملى ، ما يدل على تشيعه وخبرته بالحديث . ص ٢٦٨ ج ٣ تذكرة الحفاظ ، طبعة ثانية بحيدر آباد ، ولا تنسى أن الذهبى شامى . من تلاميذ ابن تيمية وأظهر كتاب (تنزيه الشريعة المرفوعة) لابن عزال .

(١) وقعت مناظرة فى هذا الحديث بين أبى حنيفة ، ومحمد بن على ابن النعمان ، حيث سأله أبو حنيفة ، كالمفكر عليه ، ممن رويت حديث رد الشمس لملى ؟ فأجابته : ممن رويت أنت يا سارية الجبل .. فألجمه ..

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر فى ترجمته من (الدرر الكامنة) أن العلماء حكموا بنفاق ابن تيمية ، لما ثبت عليه من بغض على ، وانحرافه عنه ، وقد قال ﷺ لملى القتل : { لا يهضبك إلا ضائق } قلت : وقد اطلعت على رسالة له صغيرة ، نكر فيها : أن الأحاديث الواردة فى فضل على لا تثبت له ميزة على مطلق المؤمنين . فضلا عن الصحابة وبين ذلك فى بعض الأحاديث التى ذكرها ، بكلام طاهر عليه أثر الحق والاحتمال . وفى كتابه الذى سماه (منهج السنة) وهو فى الحقيقة - منهج البدعة - تحامل كثير على غنى وانتقاص لملى مقامه ، خصوصا أوائل الجزء الثالث منه ، فإن فيه مع ذلك مسأسا بغاطة الزمراء عليها صلوات الله ، ووصفها بشائبة النفاق ، وقد عاقبه الله على هذه الوقاحة والخبث ، فجعله إمام الناصبية والمبتدعة منذ وفاته إلى الآن ، فى كل زمان ومكان ، فلا تجد عدواً لأل البيت ، ولا خارجاً على الجماعة . إلا ولهد أفكاره ، وتلميذ كتبه الملأ بالفضائل ، فتونك المعجسة والاشبهة ومن على شاكلتهم ، كلهم يعتمدون عليه ، ويرجعون فى نصر بدهتهم إليه ، ودونك أعداء الزبارة النبوية الذين يزعمون أنها معصية ، لا حجة لهم فى زعمهم إلا كلامه ، ودونك التجريئين على القول فى الدين بالهوى والغرض ، لم يكتسبوا جراتهم إلا لله ، وهكذا بقية صنوف البدع ، هو الذى فتح أبوابها وسهل أسبابها ..

الخميس: في أوسط معاجم الطبراني بإسناد حسن كما قال أبو زرعة^(١) ابن الحافظ المروقي عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار، وقال القاضي عياض في (الشفاء) بعد أن نقل حديث أسماء بنت عميس، وكلام الطحاوي في تصحيحه ما نصه: وروى يونس ابن بكير في زيادة المغازي بروايته عن ابن إسحاق: لما أسرى برسول الله ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير، قالوا: متى تجيء؟ قال {يوم الأربعاء} قال: فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولّ النهار ولم تجيء، فدعا ﷺ، فزيد له في النهار ساعة، وحبت عليه الشمس^(٢)، وهذان الحديثان ثابتان وروائهما ثقات، اهـ.

ومن أراد زيادة على ما أورده، فليراجع (الشفاء، والمواهب وشروحهما والخصائص الكبرى للسيوطي وغيرها) والله أعلم.

١١ - حديث: الإسراء والبرق

عن أنس رضي الله عنه { أن النبي ﷺ أتى بالبرق ليلة الإسراء به ملجأً مسرجاً فاستصعب عليه، فقال جبريل عليه السلام: أبعمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه، فقال: فارفض عرقاً } رواه أحمد والترمذي والبيهقي وغيرهم، وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان.

قوله: { أتى بالبرق } هو - بضم الباء وتخفيف الراء - دابة - أبيض فوق الحمار وبنون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، كذا جاء مفسراً في صحيح مسلم من حديث أنس أيضاً.

قوله: { فاستصعب عليه } وفي رواية اشعأز، وفي رواية شققن، ومعنى الروايات واحد، وجزم السهلي بأن البراق إنما استصعب عليه، لبعد عهد ركوب الأنبياء قبله، ويؤيده ما جاء في سيرة ابن إسحاق من رواية وثيمة في ذكر الإسراء: فاستصعب البراق وكانت بعيدة العهد بركوبهم، ولم تكن ركبت في الفترة.

قوله: { فما ركبك أحد أكرم على الله منه } يدخل في هذا العموم جبريل نفسه، لأنه ممن ركب البراق، فيكون النبي ﷺ أكرم على الله منه، وعلى هذا انمقد الإجماع، إلا

(١) وكذا قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) والحافظ السيوطي في (الخصائص الكبرى) ..
 (٢) لا يعارض هذا الحديث أبي هريرة - في صحيح البخاري - (لم تحبس الشمس على أحد إلا ليوشع بن نون) لأن معناه: لم تحبس الشمس على أحد من الأنبياء غيري، إلا ليوشع، وقال الحافظ ابن حجر: الحصر محمول على الماضي للأنبياء قبل نبيها، وليس فيه أنها لا تحبس بعد الماضي، اهـ.
 قلت: لأن حرف (لم) معناه النفي في الماضي، لا في المستقبل.

ما كان من مخالفته الزمخشري وابن حزم، وهو خلاف شاذ كما تقدم التنبيه عليه .

قوله: فارطس عرقا: أى سال منه العرق لحياثه وخجله . وقصة الإسراء المذكورة فى القرآن، وواردة فى السنة للطهارة، رواها أكثر من عشرين صحابياً، وكذلك قصة للمعراج ذكرت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ﴿ صَدَّ سَبْرَهُ الْمُنتَهَى ﴾ ﴿ جَنَّةُ النَّارِ ﴾ ﴿ إِذْ يَفْضَى السَّحَرَةُ مَا يَقْضَى ﴾ ﴿ مَا زَالِغَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَى ﴾ ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ (نجم: ١٨-١٣) ووردت بها السنة للشفقة، إذ رواها الصحابة الذين رواوا حديث الإسراء وغيرهم، وما يروى عن عائشة فى نفس ذلك، باطل مكذوب، بل صح عنها رواية حديث الإسراء، كما رواه سائر الصحابة، وقد أفردت هذه القصة بالتأليف الكثيرة لظلمة عبد الغنى بن سعيد، ككتاب فى جزأين جمع فيه أحاديث الإسراء، وللإمام أبى إسحق النعمانى كتاب حافظ فى الإسراء والمعراج مشحون بالفوائد والنقائس، وللإمام العلامة فخر المالكية، بل فخر المتأخرين قاطبة (ابن المنير) كتاب فى أسرار الإسراء والمعراج أجاد فيه كل الإجابة .

وللحافظ السيوطى رسالة الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء طبعت بالشام وهى مفيدة . إلى غير ذلك مما لا يحصى من المؤلفات، هذا غير ما جاء عنها فى كتب التفسير والحديث والسيرة مما يطول تتبعه واستقصاؤه، ومع ورود هذا المعجزة العظيمة فى القرآن والسنة واجماع العلماء على وقوعها نجد ملحدة العصر مثل هيكل ينكرونها ويؤولون وقوعها على وجه يوافق عقولهم الضيقة، وأمزجتهم السخيفة، تقليدا للمستشرقين أعداء الدين، أو طلبا للشهرة باسم التجديد وحرية الفكر ﴿ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤَفِّكُونَ ﴾ (التافرون : ١) .

١٢ - حديث: نبع الماء من أصابع النبى ﷺ

عن أنس أيضا قال: { إن نبى الله ﷺ وآله وسلم وأصحابه كانوا بالزوراء، فدعا بقدح فيه ماء، فوضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من تحت أصابعه، فتروا جميع أصحابه، قال قتاده: كم كانوا يا أبا حمزة؟ قال: كانوا زهاء الثلاثمائة } رواه البخارى ومسلم .

قلت: قصة نبع الماء من أصابعه الشريفة تكررت عدة مرات، ووردت فى أحاديث كثيرة .

(١) تفيد الآية: أن النبى ﷺ وصل ليلة للمعراج إلى سكرة المنتهى، وهى من عالم الآخرة الذى لا يلقى عند النسخ فى الصور، ومعنى هذا أنه ﷺ طوى فى معراجه عالم الدنيا بكونه وسوائه إلى عالم الآخرى، البقاء فجمع بين العالمين، وتمت له العبادة على المرتين، وتشرف برؤية البارى سبحانه، لأنه كان فى مكان لا يلحقه فناء، بخلاف موسى عليه السلام، فإنه لم يزل الرؤية، لكونه طلبها فى الدنيا، وهى لا تصلح لها، لأنها دار فناء .

قوله: كانوا بالزوراء، مكان عند السوق بالديانة المنورة .

قوله: فدعا بقدر (بفتح القاف والدا) إنا يوضع فيه الماء .

قوله: زهاء الثلاثمائة، زهاء بضم الزاى وبالد، أى قدر الثلاثمائة . قال القرطبي :

قصة نبع الماء من أصابعه ﷺ : قد تكررت منه فى عدة مواطن، فى مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى . ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ ، حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه .

وقد نقل ابن عبد البر عن المزنى أنه قال : نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ فى المعجزة من نبع إناء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه ؛ لأن خروج الماء من الحجارة معهود ، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم ، أنه .

وقال النووى فى شرح مسلم : وفى كيفية هذا النبع قولان حكاهما القاضى وغيره ، أحدهما ونقله القاضى عن المزنى وأكثر العلماء : أن معناه أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه ﷺ وينبع من ذاتها ، قالوا : وهو أعظم فى المعجزة من نبعه من حجر . ويؤيد هذا أنه جاء فى رواية : فرأيت الماء ينبع من أصابعه .

والثانى : يحتمل أن الله كثر الماء فى ذاته ، فصار يغور من بين أصابعه ،^(١) لا من نفسها ، وكلاهما معجزة ظاهرة ، وآية باهرة .. أنه .

وقصة نبع الماء وقعت فى المدينة ، وفى قباء ، وفى غزوة بواط بضم الباء موضع عنى أهراد من المدينة ، وفى غزوة الحديبية وتبوك ، ورواها من الصحابة أنس وجابر وابن مسعود وعمران بن حصين وابن عباس .. وغيرهم ، وأغلب طرقها فى الصحيحين أو أحدهما .

(١) وهذا الماء أشرف المياه ، قاله سراج الدين البلقينى ، وهو ظنر . ويقرب من هذه المعجزة ما رواه ابن اسحق فى المغازى عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن العاص ، عن أبيه ، عن جده عبد الله ﷺ : أن أبا طالب قال : كنت بذي المجاز - وهى سوق بقرب عرفة - فأدركنى العطش . فشكوت إلى ابن أخى - يعنى النبى ﷺ - فقلت : يا ابن أخى عطشت . وقلت له ذلك وأنا لا أرى هنده شيئاً . فثنى وركه ، ثم نزل عن الدابة ، وكان ﷺ رديفاً لأبى طالب . وقال : (ياهم عطشت؟) فقلت : نعم . فأهوى بقلبه إلى الأرض - أى ضرب الأرض بقدمه - فإذا بالماء . فقال : (أشرب يا عم) فشربت . ورواه ابن سعد وابن عساکر وغيرهما . وهذا حديث عزيز نادر ، يرويه أبو طالب ، ولا أعلم له حديثاً آخر رواه ، إلا ما أخبرنى به شقيقى الحافظ أبو الليث رحمه الله تعالى : أنه روى حديثاً ، قال فيه : حدثنى ابن أخى محمد (وصدق) { أن من مات وهو يهود أن لا إله إلا الله دخل الجنة } .

تفصيل

مما يشبه هذه القصة من حيث تكثير الماء ما رواه الإمام مالك في الموطأ ومسلم في الصحيح عن معاذ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال لهم: { إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عین تبوک وإنکم لن تأتوها حتی یضحی النہار فمن جاء فلا یمس من مائها شیئا حتی آتی } قال: فجلناها وقد سبق إليها رجلان، والعین مثل الشراك تبض بشيء من ماء، فسألها رسول الله ﷺ { هل مستما من مائها شيئا } قالا: نعم { فسيهما، وقال لهما: ما شاء الله أن يقول } ثم غرخوا من العين قليلا قليلا، حتى اجتمع في شيء ثم غسل ﷺ به وجهه وبديه، ثم أعاده فيها فجرت العين بقاء كثير فاستقى الناس، ثم قال ﷺ { يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا - يعني بساتين - } زاد ابن اسحق في روايته: { فأنحرف الماء حتى كان يقول من سمعه إن له حسا كحس الصواعق } وذلك الماء فورة تبوك اليوم . ولهذه القصة نظائر في الصحيحين وغيرهما^(١)، والله أعلم .

١٣ - حديث: جاء أعرابي

عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال ﷺ { أرأيت لو دعوت هذا العنق من هذه النخلة حتى أشهد أنني رسول الله؟ } قال: نعم. فدعا العنق، فجعل العنق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض، فجعل ينقر حتى انتهى إليه فقام بين يديه، قال له النبي ﷺ { أرجع إلى مكانك } فرجع إلى مكانه، فاسلم الأعرابي، رواه أحمد والبخاري في التاريخ والترمذي والحاكم وصحاحه وغيرهم . قلت: قصة إجابة الشجر وسجوده وسلامه تعددت ووردت في غير حديث .

(١) في صحيح البخاري عن المسور بن مخرمة في غزوة الحديبية: أن النبي ﷺ، وأصحابه نزلوا بأقصى الحديبية، على شدة قسوة الماء . فلم يلبث الناس حتى نزحوا، وشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش . فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجمعوه فيه . فوالله ما زال يجيش لهم بالرى، حتى صدروا عنه الشد فلتحتين . حفرة فيها ماء - وفيه أيضا عن البراء بن عازب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ توشأ فتطسط ودعا وسج في بئر الحديبية منه، فجاشت بالماء . وفي معاذي أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن الأسدي المدني، يتم غزوة بن الزبير . عن عروة: أن النبي ﷺ توشأ في الدلو ومضمض فاده، ثم سح فر الدلو، وأمر أن يصب في البئر . ونزع سهما من كنانته وألقاه في البئر . ودعا الله تعالى، ففارت إلى ارتفعت حتى جعلوا يفترون بأيديهم منها، وهم جلوس على شقيها . وهذه الرواية توضيح وببر لرواية البراء المنصورة، وقصة البئر هذه، غير قصة الشد . فهما معجزتان، وقعتا بالحديبية .

قوله: لو دعوت هذا العذق - بكسر العين وسكون الذا - المعجمة معروف - وبقيّة الفاظ الحديث واضحة، وفيه معجزة باهرة، وآية ظاهرة، وهذا الحديث صححه الحاكم على شرط مسلم، وسلمه الذهبي .

وفي صحيح مسلم عن جابر قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفحج، فذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم يجد شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان في شاطئ الوادي فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداها فأخذها بعض من أعضائها فقال { انقادي على يائن الله } فانقادت معه كالبحر المخشوش^(١) الذي يصافح قائده ثم صنع بالأخرى كذلك حتى إذا كان بالنصف (بفتح الميم الموضع الوسط) بينهما قال التثنا (اجتماعاً) على يائن الله، فالتأمتا، الحديث .

وروى البزار والبيهقي في الدلائل بإسناد جيد عن ابن عمر قال: كنا في سفر مع رسول الله ﷺ فأقبل أعرابي. فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ { أين تريد؟ } قال: إلى أهلي، قال ﷺ { هل لك إلى خير؟ } قال: وما هو، قال ﷺ { تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله } قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟، قال رسول الله ﷺ { هذه الشجرة } فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تحدد الأرض خدماً فقامت بين يديه: فاستشهدا ثلاث فشهدت، ثم رجعت إلى منبتها .

وروى البزار من طريق صالح بن حيّان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرسي آية؟ قال ﷺ { انصب إلى تلك الشجرة فاربعها } فذهب إليها فقال: أن رسول الله يدعوكم. فصالت عن كل جانب منها حتى قلمت عروقها، ثم أقبلت حتى جاءت إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع، فقام الرجل فقبل رأسه ويديه ورجليه وأسلم. رواه ابن الأعرابي في جزء القبل من هذا الطريق، وقال في آخره: ائذن لي أن أقبل رأسك ورجليك. فأذن له فقبل رأسه^(٢) ورجليه، ثم قال: ائذن لي أن أسجد لك: قال ﷺ { لا يسجد أحد لأحد } وعزاه الحافظ العراقي في المعنى وقال: قال: صحيح الإسناد. وأه، وفي المستدرک عن يعلى بن مرة قال: سافرت مع رسول الله ﷺ فرأيت منه شيئاً عجيباً ! نزلنا منزلاً فقال { انطلق إلى حاتين الشجرتين فقل لهما أن رسول الله ﷺ بأسركما أن تجتمعا }

(١) بالخاء والشين للمجمتين، هو الجمل الذي يوضع في أنفه حود من حشاش الأرض لهنقاد، وإنما نهيت عليه لأنى رأيت القاتمين على طبع المجلد الأول من التمهيد بالغرب، لم يهتدوا لوجه الصواب فيه .

(٢) هذا الحديث يرد على الذين يزعمون حرمة التقبيل على وجه التعظيم. وقد أوردته مع أحاديث كثيرة في جزء " أعلام النبيل بجواز التقبيل " طبع مكتبة القاهرة .

فانطلقت، فقلت لهما ذلك، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها، فمرت كل واحدة إلى صاحبتهما فالتفتا جميعاً، فقضى رسول الله ﷺ حاجته من ورائهما، ثم قال { انطلقا لتعود كل واحدة إلى مكانها } فاتمتهما فقلت لهما ذلك، فعادت كل واحدة إلى مكانها .

ثم ذكر معجزتين أخريين شاهد لهما^(١)، قال الحاكم: حديث صحيح، وسلمه الذهبي، وفي الصحيحين عن مسروق قال: سألت ابن مسعود: من آذن النبي ﷺ بالجن لهلة استمعوا القرآن؟ قال آذنته (أعلمته) بهم شجرة، وبقيت أحاديث أخرى أيضاً، أكتفيها منها بما أوردناه هنا، وفي شرح الحديث التاسع، وبالله التوفيق .

١٤ - حديث: حنين الجذع

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت، رواه البخاري في صحيحه، وله طرق من جابر وبريدة وعائشة وابن عمر وأنس وأبي كعب وأبي سعيد الخدري وابن عباس وأبى سلمة وسهل بن سعد وغيرهما .

وروى أبو حاتم الرازي الإمام العلم عن شيخه عمر بن سواد، قال: قال لي الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، فقال أعطى محمداً حنين الجذع فهذا أكبر من ذلك .

قوله: كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ أي: يتكى عليه حال الخطبة وذلك قيل أن يصنع له المنبر، فلما صنع له خطب عليه، فسمع للجذع (بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة) مثل أصوات العشار (بكسر العين) جمع عشار، وهي الناقة التي لحملها عشرة أشهر، أو الحامل مطلقاً .

قوله: فوضع يده عليها فسكت، في رواية للبخاري: فنزل النبي ﷺ وضمها إليه (أي السارية التي هي الجذع) فجعلت تنن أنهن الصبي الذي يسكن، قال: كانت تهكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها، ولهذا الحديث طرق عن البخاري وسند أحمد، ولا بأس أن نشير إلى عزو الطرق المشار إليها في المتن، مع بيان ما في بعضها من الزوائد،

(١) ذكرت هذا الحديث بتعليقه وشرحه في سيرة الصالحين ج ٢، وقد مر البوصيري حيث قال:

جاءت لدموقه الأشجار ساجدة
تمشى إليه على ساق بلا قدم
كانما سطرت سطراً لا كتبت
فروعها من بديع الخط في اللق

فحديث بريرة رواه الدارمي من طريق عبد الله بن بريرة عن أبيه، وفيه من الزيادة ما نصه: فرجع النبي ﷺ فوضع يده عليه وقال { اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت، وإن شئت أن أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها وهيئتها فحسب نبتك وتثمر فيها كل أولئك الله من شئتك } . فسمع النبي ﷺ وهو يقول له: نعم قد فعلت، مرتين فسئل النبي ﷺ فقال { اختر أن أغرسه في الجنة } .

وحديث عائشة رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل بنحو حديث بريرة، وحديث بن عمر رواه البخاري وأحمد، وحديث أنس رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والدارمي وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقي، وفيه { خار الجذع كخوار اللوز حتى ارتج المسجد بخواره، فنزل إليه رسول الله ﷺ فالتزمه فسكت فقال: والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزناً على رسول الله ﷺ } قال الترمذي حديث صحيح غريب، ورواه البغوي عن طريق الحسن عن أنس، وزاد عليه: فكان الحسن - يعني البصري - إذا حدث بهذا الحديث بكى، ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ حوقاً إليه، لمكانته عند الله، وأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه .

وحديث أبي بن كعب رواه الشافعي وأحمد والدارمي وابن ماجة وأبو يعلى وسعيد ابن منصور وأبو نعيم والبيهقي، وحديث أبي سعيد الخدري، رواه عبد بن حميد وابن أبي شعبة والدارمي وأبو نعيم .

وحديث ابن عباس رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم . ورواه أيضاً ابن سعد وابن ماجة والدارمي وأبو نعيم والبيهقي . وحديث أم سلمة، رواه أبو نعيم والبيهقي . وحديث سهل بن سعد رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

وروى الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن المطلب بن أبي وبة، قال: كان النبي ﷺ يسند ظهره إلى جذع في المسجد إذا خطب، فلما جعل له المنبر، وجلس عليه، خار الجذع خوار اللوز، فاقبل عليه حتى التزمه فسكن، وقال: لا تلوذوا فلان رسول الله ﷺ لم يلق شئاً إلا وجد (أي: حزن) عليه .

قال البيهقي: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف، أهـ .

وقال القاضي عياض: حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخير به متواتر، أخرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر، أهـ . ثم ذكر هشرة من الصحابة .

وقال التاج ابن السبكي فى رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: والصحيح عندي أن خنين الجذع متواتر، رواه البخارى عن نافع عن ابن عمر، ورواه أحمد من رواية أبى جناب عن أبيه عن ابن عمر، ورواه ابن ماجه وأبو يعلى الموصلى وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، وإسناده على شرط مسلم، ورواه الترمذى وصححه، وأبو يعلى وابن خزيمة والطبرانى من رواية اسحق بن عبد الله ابن أبى طلحة عن أنس. ورواه الطبرانى من رواية الحسن عن أنس، ورواه أحمد وابن مئيع والطبرانى وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس، ورواه أحمد والدارمى وأبو يعلى وابن ماجه وغيرهما من رواية الطفيل ابن كعب عن أبيه، ورواه الدارمى من رواية أبى حازم عن سهل بن سعد ورواه أبو محمد الجوهري من رواية عبد العزيز بن أبى رواد.

عن نافع عن تميم الدارى قال: ولست أدعى أن التواتر حاصل بما عدت من الطرق، بل من طرق أخرى كثيرة يجدها المحدث ضمن المسانيد والأجزاء، وغيرها. أهـ. ولها أن ترجمه السيوطى فى كتابه الذى ألفه فى المتواتر، ولكن قال الحافظ فى الفتح إنه نقل نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة لهم فى ذلك أهـ.

ولا شك أن معجزة خنين^(١) الجذع أكبر من أحياء الموتى، كما قال الإمام الشافعى، لأن خنين الجماد وبكائه كالطفل؛ أبعد وأغرب من عودة الحياة إلى جسم كان حياً، وستعود إليه الحياة عند بعثه؛ فالميت ليس بجماد صرف، بل من شأنه الحياة، كما لا تخفى. والله اعلم.

١٥ - حديث: مسح رأسه بيده

عن حنظلة بن حذيم: أن النبى ﷺ مسح رأسه بيده وقال له { بورك فيك } قال الذيال: هو حفيد حنظلة وراوى الحديث عنه، فرأيت حنظلة يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير والإنسان به الورم فيثقل فى يده ويمسح بصلعته ويقول: بسم الله على أثر يد رسول الله ﷺ فيمسحه، ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم. رواه الإمام أحمد والبخارى فى التاريخ والطبرانى والبيهقى وغيرهم، وإسناده الحديث لا بأس به.

(١) خنين الجذع، اشتهر بين المحدثين بالحاء المهملة، والصواب عندي أنه بالحاء المعجمة. وهو صوت البكاء الخارج من الخياشيم، شبه به صوت الجذع، أما الخنين بالحاء المهملة، فهو انشروق، وهو معنى باطل لا صوت له.

حنظله .. بفتح الحاء والطاء بينهما نون ساكنة، وحذيم بضم الحاء، وهو حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمي له ولأبيه ولجده صحبة .

قوله: مسح رأسه بيده .. الخ، وسبب ذلك: أن أباه حذيم وجده حنيفة وأعمامه أتوا إلى النبي ﷺ في خصومة لهم ومعهم حنظلة غلام، فقال أبوه للنبي ﷺ: إن لي بنين ذوى لحى وإن هذا أصغرهم، فادع الله له . فمسح رأسه بيده، وقال له { بورك فيك } أو { بارك الله فيك } شك من الراوى، فكان من أثر مسحه ودعائه ما ذكر في الحديث .

والصلعة - بفتح الصاد - ما انحسر عنه الشعر من مقدم الرأس، وضرع الشاة معروف، وهذا غير كثير فى جانب بركته ﷺ، وما ورد من براء ذوى العاهات والأمراض بقله ﷺ، أو مسح يده أو دعائه . لشيء كثير جداً لو جمع لجاء فى كتاب حافل، ولعل الله يوفقنا إلى جمع ذلك بعد الانتهاء من هذا الكتاب بحول الله^(٦)، ورجال هذا الحديث ثقات ومعناد صحيح .

١٦ - حديث: قصصية من غدوة

عن سُرّة بن جندب قال: كنّا مع رسول الله ﷺ نداولُ فى قصصية من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقيم عشرة، قلنا: فيما كانت تمتد قال: { من أى شيء تعجب؟ ما كانت تمتد إلا من هينا وأتار بيده إلى السماء } رواه الترمذى والحاكم والبيهقى وصححوه .

وقصة تكثير الطعام وردت فى أحاديث كثيرة فى الصحيحين وغيرهما (سورة بضم الميم، والقصة بفتح القاف) ومن اللطائف اللغوية قولهم: لا تكسر الفصعة، ولا تفتح الجراب، والغدوة ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، وهذا الحديث صححه الحاكم على

(٦) وفى صحيح مسلم والسنن الأربعة إلا الترمذى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها أنها أخرجت جبة طيبة ذات أعلام خضر . وقالت: كان رسول الله ﷺ يلبسها . فنحن نغسلها، فنستشفى بها . وفى الصحيحين فى غزوة خيبر: أنه ﷺ دعا علياً ليعطيه الراية فجيش به بقدر ثمره شديد أصاب . فقتل فى عينيه، فبرأ كان لم يكن بها وجع . وفى صحيح البخارى عن سلمة بن الأكوع، قال: أصابتنى ضربية فى ساقى يوم خيبر . فقال القاس: أصيب سلمة . فأتيت النبي ﷺ . ففنت فيها ثلاث نقشات، فما اشتكىها بعد ذلك قط، وروى أبو الشيخ فى كتاب الأخلاق النبوية عن محمد بن مهاجر، قال: كان متاع رسول الله ﷺ، عند عمر بن عبد العزيز، فى بيت يمشى إليه كل يوم . قال: وكان ربما اجتمعت إليه قریش، فأدخلهم فى ذلك البيت . ثم استقبل ذلك التاع فيقول: هذا يروى من أكرمكم الله به، وأعزكم الله به . قال: وكان سريراً مرمولاً بشریط، ومرفقة من آدم محشوة بلهف، وجفنة، وقدح . وقطيفة صوف، كأنها جرمقانية . ورحى . وكنانة . فيها أسهم . قال: وكان فى القطيفة أثر وسخ رأسه . فأصيب رجل، فطلبوا فن يمسحوا بعض ذلك الوسخ فيعبله . فذكر ذلك لعمر، فسطف فبرأ .. أم

شرط الشيوخين، ووافقه الذهبي، وفيه معجزة كبيرة في تكثير الطعام القليل .

ولهذا نظائر كثيرة في الصحيحين، عن جابر في غزوة الخندق قال: فانكفأت إلى امرأتى فقلت: هل عندك شيء؟ فأبى النبي ﷺ خمساً شديداً، فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة ناجن، فذهبتها وطحنها الشعير. ثم جئت النبي ﷺ فساررت فقلت: يا رسول الله نهينا بهيمة - بالتصغير - لنا وطحننا صاعاً من شعير فتعال أنت ونفراً معك، فصاح النبي ﷺ { يا أهل الخندق إن جابر صنع سواراً - أى: طعاماً - يدعوا إليه الناس فحسبوا هلاككم } فقال ﷺ { لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء برجال } فأخرجت له عجينةً فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال { أدع خابزة فلنخبز معك وأدحس - أى: اغرفي - من برمتكم ولا تنزلوها } وهم ألف، فاقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتفط كما هي، وإن عجينةنا ليخبز كما هو، ووقعت قصص من هذا القبيل في غزوة الخندق وتبوك وغيرها، وهي مخرجة في الصحيحين، وبهية كتب الحديث والسيرة .

١٧ - حديث: شق قلب النبي ﷺ

عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان. فأخذه فصرعه فشق من قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علة، فقال (هذا حظ الشيطان منك) ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره (مرضعته) - فقالوا: أن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: ولقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره، رواه مسلم في صحيحه .

قوله: فصرعه .. أى: أضجعه على الأرض إضجاعاً لطيفاً، كما في رواية شداد بن أوس.

قوله: علة بفتح الحاء .. أى: قطعة دم منعقدة .

قوله: هذا حظ الشيطان منك .. معنى: أن العلة أو المغة السوء، كما في رواية أخرى.

هي محل وسوسة الشيطان من قلب الإنسان، فحيث أنزلت عنك ذهب حظ الشيطان ونصيبه منك .

قوله: ثم غسله في طست - بفتح الطاء، ويجوز ضمها وكسرها، وبالسكن المهملة ويجوز أعجمها .

قوله: ظنره هي الموضع .

قوله: منتقع اللون .. أي: متغير اللون، مثل النقع وهو الغبار .

وفي حديث شداد بن أوس: أن رسول الله ﷺ قال { كنت مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فبينما أنا ذات يوم في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان إذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب مليء شلجاً فأخذوني من بين أصحابي وانطلق الصبيان هرباً مسرعين إلى الحي، فعدت إليّ أحدهم فأضجعتني على الأرض الضجاءاً لطيفاً، ثم شق ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عاتقى، وأنا أنظر إليه، لم أجد لذلك مساً، ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها، ثم أعادها مكانها، ثم قام الثاني فقال لصاحبه: تنح، ثم أدخل يده في جوفى فأخرج قلبى وأنا أنظر إليه فصدمه، ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها، ثم قال بيده يمنة وبسرة كأنه يتناول شيئاً، فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه، فختم به قلبي فامتلاً نوراً وذلك نور النبوة والحكمة، ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرأ، ثم قال الثالث لصاحبه: تنح، فأكبر يده بين مفرق صدرى إلى منتهى عاتقى فالتأم ذلك الشق يائن الله تعالى، ثم أخذ يدي فأنفضني من مكنتي إتهافاً لطيفاً، ثم قال للأول: زنه بعشرة من أمته، فوزنني بهم، فرجحتهم: ثم قل: زنه بمائة من أمته، فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فرجحتهم، فقال: دعوهم قلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم، ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا: يا حبيب لم ترع أنك لو تدرى ما يراد بك من الخير لفرت عينك { الحديث، رواد أبو يعلى وأبو نعيم وابن عساكر .

وفي حديث أبي ذر عند الدارمي { فما هو إلا ولها عني فكانما أرى الأمر معاينة {

وفي رواية ابن غنم عند الدارمي أيضاً { أن جبريل عليه السلام قال: قلب وكعب - شديد - فيه عينان تنظران، وإذنان تسمعان { وللحديث طرق أخرى^(١) .

والحكمة من شق صدره الشريف واستخراج العلقة من قلبه تطهيره من حالات الصبا، وتنشئته على الرجولة القائمة، ولهذا نشأ ﷺ على أكمل الحالات، وأفضل الصفات لم يصل إلى شيء مما يميل إليه الصبيان، ولم يستهوى ما استهوى غيره من الشبان والفتيان، حتى أكرمه الله بنبوته، وأصفاه لرسالته ﷺ .

ثم شق صدره الشريف مرة ثانية: عند بعثته ﷺ ليمتلقى الوحي بقلب قوى، واستعداد كامل .

(١) منها حديث عتبة بن عبد السلمي عند الحاكم، وصححه على شرط مسلم، وسلمه الذهبي .

ثم شق صدره الشريف للمرة الثالثة: ليلة الإسراء كما ثبت في البخارى وغيره،
ليتمهيا للترقى إلى الملأ الأعلى والثبوت فى المقام الأسنى، وليتقوى قلبه لمشاهدة العلى
الأعلى، ولهذا لما لم يتفق موسى ﷺ مثل هذا التهمة والاستعداد لم تتفق له الرؤية^(١)

(١٧) قال الحكميم الترمذي: حدثنا محمد بن زulf الأحملي، ثنا محمد بن عطاء الهجيمي، ثنا محمد بن
تصير، عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ
إِلَيْهِكَ ﴾ قال ﴿ يا موسى إنه لا يرائي حي إلا مات ولا يهاب إلا تعدده ولا رطب إلا فترق، إنما يرائي
أهل الجنة الذين لا تموت أعيانهم ولا تبلى أجسادهم ﴾ أما تنبها ﷺ فالراجح عند أكثر العلماء كما قال
السيوطي: أنه رأى ربه ليلة الإسراء رؤية بصرية، وروى الترمذي من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة
عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، فقلت: أليس يقول الله ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْبَاصُ ﴾ قال: ويحك،
ذاك إذا تجلى بخوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين، وروى الثنائي بإسناد صحيح، وصححه
الحاكم أيضا عن ابن عباس قال: أتصحبون أن تكون الخلعة لإبراهيم، والكلام موسى. والرواية لمحمد
ﷺ وللطبراني في الأوسط بإسناد رجاله رجال الصحيح غير واحد، فوثقه ابن حبان عن ابن عباس أنه
كان يقول: إن محمدا ﷺ رأى ربه مرتين مرة ببصره، ومرة بقلوبه، وروى ابن خزيمة بإسناد قوى عن
أنس قال: رأى محمد ربه، وروى ابن خزيمة عن عبد الرزاق عن معمر بن سليمان عن المبارك بن
فضالة قال: كان الحسن يحلف بالله: لقد رأى محمد ربه، وروى ابن خزيمة أيضا عن كعب قال: أن
الله قسم كلامه وروفته بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما، فراه محمد مرتين، وكلم موسى مؤثنتين،
وروى أيضا عن عروة بن الزبير: إثبات الرؤية أيضا، وروى ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد، عن
عبدوس بن مالك العطار قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: أصول السنة عندنا: التمسك
بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والإقتداء بهم، وذكر شيئا من العقيدة، إل أن قال: وأن النبي
ﷺ قد رأى ربه، فإنه ما نزل من رسول الله ﷺ، صحيح، رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه
الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس.
والحديث عندنا على ظاهره، كما جاء عن النبي ﷺ. أفأ، وروى البخاري في كتاب السنة عن
المروزي قلت لأحمد: إنهم يقولون أن عائشة قالت: من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم على الله
الفسية. فبأي معنى يدفع قولها؟ قال: يقول النبي ﷺ { رأيت ربي } فقول النبي أكبر من قولها. أنه
وهذا الحديث رواه ابن عباس، وأشار أحمد إلى طرقه في كلامه أنفا، وأورد ابن خزيمة في كتاب
التوحيد بابا لرؤية النبي ﷺ ربه تعالى، وأطال الاستدلال لذلك، وأجاب عن كلام عائشة بأنها نلت
الرؤية، وابن عباس وأنس وغيرهما أثبتوها، والإثبات مقدم على النفي، وروى عن عبد الرزاق قال:
ذكرت لمصر حديث عائشة، فقال: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس، قال ابن خزيمة: وسألت أن
يقال ابن عباس أعظم على الله الفرية، ولا أعلم أحد من أهل العلم يتوهم أن ابن عباس أثبت الرؤية
بالهين والرأي، ولا أنس ابن مالك، ولا أبو ثور، هذا ملخص كلام ابن خزيمة، وأما قوله تعالى ﴿ لا
تُدْرِكُهُ الْبَاصُ ﴾ فلا يدل على نفي الرؤية لوجهين:

الأول: أن الأبحار لفظ عام، أي: لا تتركه عموم أبحار الناس، وخلص منه بحر النبي ﷺ على سبيل التمييز والإكرام، فتكون الآية من قبيل العام للخصوص.

الثاني: أن الإسراء معناه: الإحاطة، فلاية الكمية تنفي الإحاطة، ونفي الإحاطة لا يستلزم نفي الرواية، ألا ترى أن المؤمنين همون الله في الجنة، ولا يحيطون به، بل نحن نرى الشمس والقمر ولا نحيط بهما، فكذلك النبي ﷺ رأى الله من غير أن يحيط به، وتعالى الله عن أن يحيط به أحد من خلقه .
وأما حديث أبي ذر: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال { نور أني أراده } فأجاب عنه --

وفي هذا الحديث لطائف منها: أنه تحقق بخلق صدره، وصدق قلبه، إكراهه بالصبر الجميل، كما تحقق لجده إسماعيل التمتع، على ذلك لصبره على ملامعات الذبح فلنسى الله عليه بذلك - ولكن سير نهينا بذكر أحد، واحتماله لقوى القاري العظيم بين الأمرين كما لا يخفى .

ومنها: غسل قلبه بطست من ذهب وفيه كما قال الحافظ مناسبات منها: أنه من أولاد الجنة . ومنها: أنه لا تأكله النار ولا الثواب، ولا يلحقه الصدا . ومنها: أنه أثقل الجواهر - فتاسب قلبه عليه العلاء والسلام، لأنه من أولاد أهل الجنة . ولا تأكله النثر - ولا الثواب، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ولا يلحقه الصدا، وأنه أثقل من كل قلب عدل به .. ولعله مناسبة أخرى: وفي ثقل الوحي فيه، هذا كلام الحافظ في الفتح .

وقال السهيلي وابن دحية: إن نظر إلى لفظ الذهب تناسب من جهة إغراب الرجب عنه ولكونه وقع عند الذهب إلى ربه، وإن نظر إلى معناه، فطوباه ونفاقه . . .

ومنها: ما ذكره المعارف ابن أبي حمزة: أنه أعطى برؤيته شل صدره وقلبه الشريفين عدم الخوف من العادات التجارية بالهلاك، فحصلت له قوة الإيمان من ثلاثة أوجه:

(١) قوة التصديق (٢) والخلافة (٣) وعدم الخوف من العادات المهلكات .

فكسر له بذلك ما أريد منه من قوة الإيمان بالله تعالى . وعدم الخوف مما سواه . ولأجل ما أعطيه ما أشرنا إليه كان تعالى على العالمين - بفتح الهم - أي العالم العلوي والعالم السفلي . أشجعهم وأثبتهم وأعلام حلالاً ومقلاً .

وفي العلوي كان كما أخبر الله: أن جبريل عليه السلام لما وصل به إلى مقام قال: هائلت وبربك - هذا مقام لا أتعداه - فزج فيه أي في النور رجة ولم يتوان ولم يتكلم فكان هناك في الحيرة كما أخبر عنه بقرينه قوله ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَى الْأَنْبُورُ ﴾، وأما حاله فكان في هذا العالم، فكان إذا حمى الوبوس في الحرب وكش بطله في بحر العدو وهم شاكرون سلاحهم، ويقول: { أَنَا أَتَيْتُ لَا كُذِّبْتُ فَمَا لِي مِنْ هَذَا الْمَطْلَبِ } وهو ليس، لكن ما ذكره عن جبريل من قوله: هذا مقام لا أتعداه، ثم أقف له على إسناد

تقديمه: تحريم استعمال الذهب إنما حصل في المدينة بعد الهجرة، وشيئ الصدر

== ابن خزيمة بأنه يجوز أن يكون سأل قبل حصول الرؤية، ثم حصلت بعد ذلك، فقلت: ويقال هذا بما ثبت من أبي هريرة أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، وشهدت ذلك عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أبناً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما ما كتبه في التمهيد رقم ١١٢ حتى الحديث رقم ١١١

حصل قبل ذلك، فلا يرد أن يقال: كيف صح غسل قلبه في طست من نعب وهو محرم؟ لأن استعمال الذهب إذ ذاك كان مباحاً، والله ﷻ أعلم .



١٨ - حديث: فضل محمد ﷺ على الأنبياء

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: { فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ، أُعْطِيتُ الْجَوَامِغَ الْكَلِمَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهَوْرًا وَنَشَجًا وَأُرْسِلَتْ لِي الْخَلْقُ كَافَّةً، وَلِحُمِيَّ الْنَّبِيِّينَ } رواه مسلم في صحيحه .

قوله: فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ، هذا العدد لا مفهوم له لأن له فضائل غير هذه الست كما سيأتي قوله، أُعْطِيتُ جَوَامِغَ الْكَلِمِ، أى للكلم للجوامع وهى الأحاديث العظيمة اللفظ الكثيرة المعنى، كحديث { إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ } لِمَنْ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْفَوَائِدِ مَا يُجْرَدُ بِالتَّكْلِيفِ، ولله نظائر كثيرة، نكر جملة منها القاضي عياض في الشفاء . وأحاديث الأربعين النبوية، كلها كلمة جوامع وهى متعلولة مشهورة .

قوله: وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ .. أى أن الله ينصره بخلاف الرعب فى قلوب أعدائه، زاد فى رواية أخرى فى الصحيحين من حديث جابر: وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيِ سَبْعَةِ شُهُورٍ .

قوله: وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ .. زاد فى رواية جابر: وَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَالْغَنَائِمُ جمع غنيمة، وهى ما يفتن من العدو فى الجهاد، وكان من قبلنا إذا قنسوا غنائم . جميعوها فى مكان فقتلنا ناز من السماء فتأكلها . وكذلك جاء مبيناً فى حديث الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهَوْرًا .. بفتح الطاء .. أى: يتيمم بأجزائها . واستدل به على أن التيمم يرفع الحديث: كالوضوء .

قوله: وَسَجْنَا أَيْ مَوْضِعًا لِلِسُجُودٍ لَا يَخْتَصُّ مَكَانٌ مِنْهَا مَوْضِعٌ آخَرٌ، وفى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: وَكَانَ مِنْ قَبْلِي إِنَّمَا يَسْلُكُونَ فِى كِتَابَتِهِمْ ، وفى حديث ابن عباس عند البيهقي: وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَسْلُكُ حَتَّى يَبْلُغَ مَحَرَّبَهُ . واستدل المالكية والمحنفية بقوله: وَجُعِلَتْ الْأَرْضُ طَهَوْرًا، على جواز التيمم بجميع أجزاء الأرض من تراب وزمل وحجر ونحو ذلك .

وخصص الشافعية التيمم بالتراب فقط، مستكين برواية حذيفة فى صحيح مسلم . وجعلت تربتها لنا طهوراً . قالوا: فهذا خاص يحمل عليه خبره من الروايات التى وردت عامة، ونوقشوا فى هذا الاستدلال مناقشات قوية يترجع منها جانب القول الأول المذهب بصوم قوله تعالى

﴿ فَتَوَقَّعُوا صَاحِبًا طَائِفًا ﴾ (جسد: ١٣) وبهيمه ﷺ في التهم، فإنه لم ينقل عنه أنه ألزم التهم بالقراب فقط، بل كان يتيمم بالأرض التي كان يصلي عليها تراباً كانت أو سبخة لو رمل.

قوله: وأرسلت إلى الخلق كلمة .. أي: الإنس والجن، بهذا نطق القرآن واعتقد عليه الإجماع فمدعى خصوص رسالته بالعرب كافر بلا نزاع، وهل أرسل إلى الملائكة؟ حكى طبر الأديب الرازي: الإجماع على أنه غير مرسل إليهم، وقال جماعة من الأصمعية: أرسل إليهم رسالة تشريف لا تكليف، ورجح النقي السبكي: أنه أرسل إليهم، وكذا رجحه البارزي وزاد عليه أنه أرسل إلى جميع الحيوانات والجمادات، واستدل بشهادة الغيب له بالرسالة، وشهادة الحجر والشجر، وألف الحافظ السيوطي في الاعتصار لهذا القول رسالة سماها "تزيين الأرائك في إرسال النبي ﷺ إلى الملائكة" واستدل فيها بم عشرة أدلة أقواها كما قال الله تعالى ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ (البقرة: ١١٠) يعني للملائكة أن قال ﴿ وَمَنْ يَمْلِكُ مِنْهُمْ ﴾ - أي: الملائكة - ﴿ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ فَوْفِهِ فَتَذَكَّرْ لِحُزْرِهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ لِحُزْرِي الْغَالِبِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٩) قال: فهذه الآية إنداز للملائكة على لسان النبي ﷺ في القرآن الذي أنزل عليه، وقد قال تعالى ﴿ وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُدْرِكَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ (الأنعام: ١١١) فليت بذلك لرسالته إليهم، أم."

وأظهر بقية أدلته في الرسالة المذكورة فهي مطبوعة ضمن كتابه الخاوي في الفتاوى

قوله: وحلم بن النبيون، فهو خاتم الأنبياء .. أي: آخرهم، لا نبي معه في عصره ولا بعد عصره، وهذا أمر معلوم عن الدين بالضرورة.

فالقاديانية الذين يزعمون نبوة غلام أحمد القادياني، كفار مرتدون بإجماع المسلمين، ولا تصح مناقحتهم، ولا تؤكل ذمهم، وهم سبحة استعمارية خدموا مصالح الإنجليز في الهند، وكان زعيمهم القادياني يصرح على رؤوس الأشهاد بحبه لإنجلترا، وولائه لها ويحشأ أتباعه على خدمتها ويحمد الله على أنه وجد في بلد نحت وابتها، إلى غير هذا من أقواله السخيفة المدونة في كتبهم.

(١) وفي السخيفين من أتى هجرة ﷺ عن النبي ﷺ في التكبر إلى الجمعة - ﴿ فإذ أخرج الإمام حصرته الملائكة يستمعون الذكر ﴾ فحضورهم لاستماع الخطبة دليل على أنهم مكلفون بذلك، وبسبب في قناعاتهم: أنهم يمثلون صلاة الجماعة، وإذا قال الإمام ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قالوا: ﴿ آمين ﴾ وليس صحيح البخاري من وفاة بن ربيع ﷺ، قال: حله جهيل إلى الخبر ﷺ قال: ما تمدون أهل بسر فيكم؟ قال: (من أفضل المسلمين) أو كلمة نحوها، قال وكذلك من شهد جرس الملائكة، فهذا يدل على أنهم مكلفون بشريعته.

ومثلهم في الكفر والارتداد وخدمة مصالح الاستعمار: فوق البهائية الذين يزعمون أن الإسلام نسخ يديهم، وينكرون البعث والنشور والجنة والنار، والصلاة والصيام ويحيزون إمارة النساء بمفهوم ليعن، ويؤلفون زعمهم ويحجون إلى عكا^(١)، يطوفون بغير إلههم عباد السجاء، وهي قبلتهم في صلاتهم، وهي صلاة خالف صلاة المسلمين، إلى غير ذلك^(٢) من القبائح، وقد قروا كثيراً من الناس بدعهم فدخلوا في مبادئهم، ولهم بالمحلة الكبرى شعبة نشطة، قتلهم الله ولعنهم إلى يوم الدين .

١٩ - حديث: أعطيت جوامع الكلم

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ { نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَيَسِّرَ اللَّهُ لِي ذَلِكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْلَحُونَ } قال أبو هريرة فذهب رسول الله ﷺ وأنتم { تَتَكَلَّمُونَ } رواه البخاري .

قوله: وأعطيت جوامع الكلم .. تقدم شرحه، وقال الهروي: يعني به القرآن، جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه للعاني الكثيرة، وكلامه ﷺ كان بالجوامع قليل لللفظ كثير للمعاني .

قوله: . وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي، قال المنوي: هذا من أعلام النبوة، فإنه إظهار بفتح هذه البلاد لأمة، ووقع كما أخبر ﷺ وقته المحدد والفة .. له .

قوله: وأنتم تتكلمونها .. أي: تستخرجون ما فيها، يعني خزائن الأرض، وما فتح على المسلمين من الدنيا بسبب الفتوحات الإسلامية .

تنبية: ذكر في هذا الحديث والذي قبله سمة خصال من خصوصياته، وبقيت خصال أخرى منها: إعطائه الشفاعة، رواه الشيطان من حديث جابر، والمراد بها الشفاعة العظمى، ومثها: تصدق بأحمد، وجعلت أمته خير الأمم، رواه أحمد من حديث علي بن أبي طالب، ومثها: جعلت صلواتكم كصلوات الملائكة - يعني في الصلاة - رواها مسلم من حديث حذيفة، ومثها: إعطاؤه الأمانات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش - رواه النسائي

(١) وحديث { طوبى لمن رأى عكا } مكتوب باطل .

(٢) والجهاد في دينهم بنسخ، فلا يجوز عندهم جهاد الكفار والمشركين - بل يجب أن يفتحوا بالدخول في دين البهائية، لأن اقتضاها به ودخلوا فيه، تركوا لبلاد لأهلها ورحلوا عنها بلا مقبولة، وهذا كلام سخيف .

وأيضا حرجه من حنيفة أيضا، ومنها: ففيران ما تقسم من ذنبه^(١) وما تأخر وخطاه الكون وكونه، صاحب نواة الحمد يوم القيامة، رواها البرار عن أبي هريرة، ومنها: إسلام شيطانه. رواها المزمار عن ابن عباس، فهذه ست عشرة خصلة.

قال الحافظ في "الفتح": ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن آمن بالتبعية، وقد ذكر أبو سعيد الخدري في كتاب "شرف المصطفى": أن الذي اختص به شيئا **يَكُونُ** خصلة. أم قال الحافظ السيوطي في "الخصائص الكبرى": ولم ألف على من هذه. وقد تتبعنا الأحاديث والآثار فوجدت القدر المذكور وثلاثة أمثاله معه وقد رتبها أربعة أقسام:

١ - قسم اختص به في ذاته في الدنيا ٢ - قسم اختص به في ذاته في الآخرة

٣ - قسم اختص به في أمته في الدنيا ٤ - قسم اختص به في أمته في الآخرة

ثم أوردها مفصلة على الأبواب المراجعة من أراد. والله ولي التوفيق واستعان.

٢٠ - حديث: سموا بإسمي

عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ (لما أبو القاسم الله يعطى وأنا أقسم) رواه الحاكم - مسححه وسامه الذهبي، وفي صحيح مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ (سموا بإسمي ولا تكونوا بكنيتي قلني أنا أبو القاسم أقسم بينكم) وفي صحيح مسلم أيضا عن جابر قال: وقد نزل رجل منا غلاما مسلما محمدا، فقلنا: لا نكنهك رسول الله ﷺ حتى نصله. قال: فأتاه

(١) قد يشكل عد هذه من خصائصه ﷺ لأن الأئمة جميعهم ملوك لهم، بل هم معصومون وما سموا منهم من ذنوب، فهو - راجع الكتابة، أو الترخيص، أو من يلب خصات البرار سيئات اقربين. ويحسب على هذا إلا أن هذه الخصلة عمت من خصائصه، باعتبار جبروت تميزها في الآخرة، ذلك أن الأنبياء بعث يوم بر هو للوفاء وفزعه، ما يتجهج حالهم - يوم يجع الله الرسل فيقول صلات أحييتهم قالوا لا علم لنا بذلك أنت غلام الضيوط (المائدة ١٠٩) ويقول كبرواهم حين تطلب منهم الشهادة، إن الله قد عطف عليهم غمنا لم - حسب قبله ملكه، وإن يفتت بعده ملكه، نفسى نفسى. لأن كل واحد منهم لا يمان أن يواظب بما عد عليه ذنباً، لما سبنا ﷺ فيكون في ذلك الوقت قوى القتب، ويهد الجاش، لا يخلعه فرع، ولا يمشاء هول، فتكتب به الخصلة فيقول (أنا لها، أنا لها) ولا يحتقر كما اعتذر لهم. ويستشهد به الرسل على تصديقهم في إبلع قريشهم، فصدقهم ويؤيدهم. ويبرجهم ربه في أت - مرة عد مرد. حتى يقول له ذلك جازي القدر: ما تركت لطلب ربح من أمثك عليه. وما تذك إلا لأنه عد من قول الله ﷻ ليقتلوا لك الله ما تقطع من ذنبك وما ماخر في القصة ٢٠ - ربه لا يحاط به ولا يواظب، هذه الخصلة ما اختص بها في، أنه في الآخرة كذا.

فأجابه عليه النبي ﷺ { سموا باسمي ولا تكونوا يكتنوني بإسمي بعثت قاسماً لأنفسكم بينكم }^(١) فهذه الروايات الصحيحة تبين أنه ﷺ يقسم بين اسمه ما يروقه الله من معارف وعلوم وأعمال وغيرها . وليس قسمه ﷺ خاصاً بمالك النبي . والله أعلم . بل هو عام كما تكرنا . والله أعلم .

قوله : سموا باسمي ولا تكونوا يكتنوني . قال النووي : اختلف العلماء في هذه المسألة على مذاهب كثيرة جميعها القاضي وغيره :

أحدهما : مذهب الشافعي وأهل الظاهر : أنه لا يحل التكني بأبي القاسم لأحد أصلاً سواء كان اسمه محمد أو أحمد . أم لم يكن لظاهر هذا الحديث .

والثاني : أن هذا التكني منسوخ ، فإن هذا الحكم كان في أول الأمر ، لهذا التكني المذكور في الحديث ، وهو أن رجلاً نادى بالتحقيق : يا أبا القاسم ، فالتفت إليه النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله إني لم أعنك ، إنما دعوت غلباً فقال { سموا باسمي ولا تكونوا يكتنوني } ثم نسخ قولك فبطل اليوم التكني بأبي القاسم لكل واحد سواء من اسمه محمد وأحمد وغيره . وهذا مذهب مالك .

قال القاضي : وبه قال جمهور السلف وفقهاء الأصناف ، وجمهور العلماء ، قالوا : وقد اشتهر أن جماعة تكونوا بأبي القاسم في العصر الأول ، وفيما بعد ذلك إلى اليوم مع كثرة فاهل ذلك وعدم الإنكار .

الثالث : مذهب ابن جريز : أنه ليس بمنسوخ ، وإنما كان انتهى للتنزيه والأدب لا للتحريم .
الرابع : أن التكني عن التكني بأبي القاسم مخلص بمن اسمه محمد أو أحمد . ولا بأس بالكنية وحدها لمن لا يسمى بواحد من الإسمين ، وهذا قول جماعة من السلف وجاء فيه حديث مرفوع عن جابر .

الخامس : أنه ينهي عن التكني بأبي القاسم مطلقاً وينهي عن التسمية بالقاسم ، لئلا يكتنوا أبوه بأبي القاسم ، وقد سهر مروان بن الحكم اسم ابنه عبد الملك حين بلغه هذا الحديث ، فسماه عبد الملك ، وكان اسمه أولاً القاسم ، وفعله بعض الأصناف أيضاً .

السادس : أن التسمية بمحمد منووعة مطلقاً سواء له كنية أم لا . وجاء فيه حديث عن النبي ﷺ { سمون أولادكم بمحمد ثم تلعنونهم } وكتب عمر إلى الكوفة لا سموا أحد

(١) يروى أحمد وأبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال { ما أوتيتكم من شيء ولا أمركم به إلا أنا لا } .

باسم نبي، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم محمد حتى ذكر له جماعة أن النبي ﷺ أنن لهم في ذلك وسامع به فتركهم .

قال القاضي: والأصح أن فعل عمر هذا إعظام لاسم النبي ﷺ لئلا ينتهك الاسم كما سبق في الحديث { تسمونهم محمداً ثم تلعنونهم } ولعل سبب نهى عمر أنه سمع رجلاً يقول: لمحمد بن زيد بن الخطاب: فقل الله بك يا محمد، فدعا عمر فقال: أرى رسول الله ﷺ يسب بك، والله لا نقضى محمداً ما بقيت، وسماه عبد الرحمن أمه .

وحديث { تسمون أولادكم محمداً ثم تلعنونهم } رواه البزار وأبو يعلى وابن عدى والحاكم من حديث أنس، وهذا الحديث معدود في فضائل التسمية باسمه ﷺ، مع دلالة على احترام الاسم الشريف وتوقيره .

وقال ابن سعد في الطبقات: أنا مطرف بن عبد الله اليساري حدثنا محمد بن عثمان العمري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ { ما سرّ أهدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة } وهذا مرسل .

وأخرج ابن أبي عامر عن طريق ابن أبي ليلى عن جهم بن عثمان عن ابن جشوب عن أبيه عن النبي ﷺ قال { من تسمى باسمي يرجو بركتي غدت عليه البركة وراحت إلى يوم القيامة } وجهم جده أبو حاتم . وضعفه الأزهري .

وروى ابن القاسم في سماعه، وابن وهب في جامعهم عن مالك قال: سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد إلا نما ورزقوا، ورزق جيرانهم .

وللحافظ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الله بن بكر البغدادي جزء مطبوع في فضل التسمية بمحمد وأحمد، وفي عزمي أن أحمد طبعه مع التعليل عليه بما يتم فوائده ويكمل متعده مع بيان علل الأحاديث وتلد أسانيدها، يسر الله ذلك وأعان عليه .

قوله: يقسم بين أمته ما يوزقهم الله من معارف الخ يؤيد هذا العموم ويؤكد أمران: الأول: قوله إنما بعثت فاسحاً، وهو إنما بعث يقسم ما أنوتي من الهدى والنور والمنم والعرفان، فأما قسم النبي واللغاث فهو أمر ثانوي، إنما حصل بعد فرض الجهاد، والأمر يقتال المشركين بعد الهجرة .

الثاني: أنه قلّ نهى عن شهره أن يكتنى بأبي القاسم وعلل النهي بأنه يقسم ولو كان المراد قسم النبي واللغاث، لم يكن لهذا النهي والتعليل معنى، لأن كل إمام وخليفة

يقسم المقام بين المجاهدين، كما كان يفعل عمر^١ وغيره من الخلفاء.

ذلك هو المبرز في الشرع، فلو لا أنه ﷺ اختص في القسم بشيء لم يشركه فيه غيره، لم يكن للنهي معنى كما ذكرنا، ولهذا خص جماعة من الصحابة بأنواع من العلوم، فاختص زهيد بنى ثابت بالفرائض، ومعاذ بن جبل بالحلال والحرام، وأبي بن مسعود بعلم القرآن، وحذيفة بن اليمان بأصول الفرائض وكشف أسرارهم، وأبا هريرة بهجراتهم من العلم بهما أحدهما ولم يثبت الآخر مخافة القتل كما في صحيح البخاري، وعلياً بن عبد الله بن مسعود بعلم القضاء وعلم أخرى (وسماه باب مدينة العلم) وهكذا كل صحابي له من رسول الله ﷺ باب من العلم أو أبواب. على قدر استعداده^٢، ثم هو ﷺ بعد وفاته حتى في قبره تعرض عليه أعمال أئمة فيستغفر لهم ويشفع كما سألني في الحديث السادس والمشروع، وللتوفيق من أفراد الأمة يشاهدونه ويسمعون كلامه، ويرون نوره سارياً في الوجود، ويرون كل طهر واصل إليهم عن طريقه، لا يرتابون في ذلك لأنهم رأوه عياناً، حققنا أنه به حتى نزايد معرفة لقدر هذا النبي الكريم والرسول العظيم، عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم.

٢١ - حديث: محمد ﷺ سيد ولد آدم

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ { أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولولم ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع } رواه مسلم في صحيحه.

قال العلماء: قوله ﷺ { يوم القيامة } مع أنه سيدهم في الدنيا أيضاً، لأن في يوم

(١) قال أبو حمزة في الأسوال: أخبرنا عبد الله بن صالح، أخبرنا موسى بن علي بن أبيه عن حمزة، خطيبهم بالجمعة - مكان بختام - فقال: من أراد القرآن فليأت قلبه، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زهداً، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإن الله جعلني حازماً وقاسماً.

(٢) قال العلامة الطائفي المحقق أبو القاسم محمد القوي في شرحه على "سطور الأعلام في ميادين الإيمان والإسلام" - لولم الدين أبي زهرة الفريسي ما تبعه: اعلم أن الله أريد عاتين: عالماً مختارهما، وعدلاً ابدعهما. أشار إليهما بقوله تعالى { إنا لله الخلق والآخر } (الأعراف: ٥٤) وقوله { عالم الغيب والشهادة } (الأنعام: ٧٣) لعالم أجمع هو عالم المكنون، وعالم المكنون هو عالم الاختراع، وهو عالم الأسرار وهو العالم للعلوي، وهو عالم المفقود، وعالم الشهادة هو عالم الملك، وعالم المخلق .. وعالم الإبداع وهو العالم السطحي، وهو عالم الرتبة، ولكل عالم من هذه العوالم سر فوذه الله فيه لتصور الطبيعة وهبوط القدر، وقد استودع الله مصطفاه ﷺ تلك الأسرار الإلهية وجعله أميناً عليها، فنفذ على من أراد الله من أهله لاستنساخها، وما فعل له، ويطلب الناس على قدر عقولهم، أعد، بلغة من نسخها عليها خط القيس والتبوير.

القيامة تظهر سيئات لكل الناس لا ينازعه فيها منازع بخلاف الدنيا، لقد نازعه في ذلك ملوك الكفار وزعماء الشركين، وهذا مثل قوله تعالى ﴿لَئِنْ أُنْزِلَ الْيَوْمَ إِلَهُ الْوَاجِبِ الْقَهَّارِ﴾ (سورة: ١٧) مع أن الملك له **فَيْتَحُ** قبل ذلك، ولما قد بذلك اليوم لخصيص الكل وقد المنازع .

قوله: { أنا سيد ولد آدم } السيد هو الذي يلزم إليه الناس في التواضع والشدة فيقوم بأمرهم، ويحصل عنهم مكارهمهم، ويدفعها عنهم، وهكذا كان **نَحْنُ** في حياته، فكان يحصل الرحم يحصل الكل ويكسب المردوم ويغري الضيف، ويعين على نواصب الحق كما قالت حديجة **هَاجَاجَ** وكان إذا مات مسلم وعليه دين قضى عنه دينه، وإذا أتاه مملوك أهله، وإذا قحط الناس آتوه مستغنين مستغنين، كما قال عنه أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال الهماتى عصمة للأرامل

وقال آخر:

تتهلك والمغزاة يندى لهاها وأين فرار الناس إلا إلى الوصل

وأما في الآخرة: فيلزم إليه أهل الموقف ليشفع إلى الله في إراحته من كرب ذلك اليوم وقوله .. وهو له، فيقول: { أنا لها .. أنا لها } فيذهب إلى العرش ليستأذن فيؤذن له، فإذا رأى الله سجد وحمد الله بحمده لم يحصده بها أحد، فيدعه الله ساجدا حامدا ما شاء أن يدعه ثم يتأديه { ارفع رأسك، وقبلى سمع وقل تعبد، واضع تشفع لك فيكون أول من يشفع وأول من تقبل شفاعته، وفيه قال { أول شافع وأول مشفع } [يفتح الله المشددة] .

وقوله: وأول من ينشئ عنه القبر. وذلك عند قيام الناس للموقف حين يفتح في الصور نخة ثانية، كما قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ كَفَّ اللَّهُ^١ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِيهَا مُبْتَلَوْنَ﴾ (الزمر: ٦٨) وإنما أخبر بأنه سيد ولد آدم لمثل قوله تعالى ﴿وَأَنَا بِبَعْثِهِ رَبُّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الحجر: ٩١) ولبيان لآله ذلك حتى يعلتقوه ويحملوا بملئاه فلا يتأذونه أو يذكرونه باسمه المجيد كما يفعل الوهابية الجفاة وأمثالهم من مقلدة المستشرقين أعداء الله .

(١) المثلث في الستين من حروف القبل مع الملائكة، وقبل هم حملة العرش. والقبل: جبريل، وقبل ميكائيل، وقبل ملك الموت، والقبل: الجنة والصور الصور، وكل هذه أقوال صحيحة أو باطلة، الصحيح أن للستين من الأسماء والشهداء، لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وإذا نفخ في الصور لا يسمعون، تكررهم لهم وتجيلا ليرحم

٢٢ - حديث: أن رسول الله أول الناس

من أنس عليه قال: قال رسول الله ﷺ { أنا أول الناس خروجاً إذا بُعِثُوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أُبشروا لواء الحمد يومئذ يهدي وأنا أكرم ولم آدم على ربي ولا فخر } رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. ورواه أبو النعمان في الدلائل ولفظه { أنا أولهم خروجاً إذا بُعِثُوا وقائدهم إذا وفدوا وخطيبهم إذا أنصتوا وأنا شافيتهم إذا حُشِرُوا وأنا مبشرهم إذا أُبشِرُوا لواء الكرامة ومفاتيح الجنة ولواء الحمد يومئذ يهدي وأنا أكرم ولم آدم على ربي بطوف على ألف خادم كأنهم نهمٌ مكنون أو نزل متور } .

قوله: { أنا أول الناس خروجاً إذا بُعِثُوا } أي: أقيموا من قبورهم، وهذا معنى قوله في الحديث السابق { وأول من ينشق عنه القبر } .

قوله: { وأنا خطيبهم إذا وفدوا } أي: على ربه، لأن العادة في وفود القوم على الملك: أن يتكلم أمامه زعيم القوم ووليسهم .

قوله: { وأنا مبشرهم } أي: بقبول شفاعتى عند الله إذا أُبشِرُوا من وجود شافع بعد توديعهم على الأنبياء وقول كل نبي: نفسي .. نفسي .

وقوله: { لواء الحمد يومئذ } أي: راية الحمد يومئذ - يوم القيامة - يهدي، وذلك جرياً على العادة عند العرب أن اللواء إنما يكون مع كبير القوم ليعرف مكانه . قال الحافظ السيوطي: وهذا لواء معنوي، والمراد أنه يشهر بالحمد في ذلك اليوم أف . أي: لأنه يحمد الله بمحامد لم يحمده بها أحد قبله، ولأن أصل الوقف كلهم: آدم ومن مولاه يحمدون موقفه في الشفاعة العظمى التي اختص بها الله، ولهذا سمي أيضاً: صاحب المقام المحمود .

قوله: { وأنا أكرم ولم آدم على ربي ولا فخر } أي: أكثرهم كرامة عنده، وأولهم منزلة لديه، ولا فخر: أي لا أقول هذا فخراً ولكن تحدثاً بالنعمة وقهاً بما واجب التبليغ وإعلاماً للأمة ليزدادوا حباً لي وأنهاها لستى .

قوله: في الرواية الثانية { وأنا خطيبهم إذا أنصتوا } أي: من هيبة الله وجلال الموقف { وَخُشِعَتِ السَّمَوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَيْسًا } (١٠٨)، { يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا } (١٠٩) .

قوله: { إذا حُشِرُوا } أي: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وهم وقوف خاصة أعيانهم ينتظرون ما يفعل بهم وما يتقل لهم .

قوله: { إذا أبلسوا } أى: أصهبوا بالإبلاس وهو الإنكسار والحزن من غم ذلك اليوم

قوله: { لواء الكرامة } هو ما يعطى فى ذلك اليوم من المزايا والمكرامات، ومفاتح الجنة كتابة عن عدم دخول أحد لها قبله .

قوله: { يطوف على ألف خادم } .. الخ، هذا بيان ليمض ما يسطاه فى الجنة، واليهض [يفتح الهاء] يهض الخمام، ومعنى مكثون: مستور بريش لا يصل إليها غير، ولونه أحسن ألوان النساء، واللؤلؤ: معروف، ومعنى متكور: منتشر غير مجموع فى نظام، وذلك أنهم يطوفون عليه ولهاهم بخدمته أشبهن اللؤلؤ متكوراً غير مجتمع، والله أعلم



٢٣ - حديث: مثلى ومثل الأنبياء

عن جابر عن النبي ﷺ قال { مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع قبنة فجعل الناس ينخلونها وينتخبون منها ويقولون للآ موضع القبنة، قال رسول الله ﷺ قلنا موضع القبنة جئت لحطمت الأنبياء } رواه مسلم فى صحيحه، ورواه أيضاً من حديث أبى هريرة وأبى سعيد، ورواه الترمذى من حديث أبى بن كعب وزاد فى آخره عن النعمى ﷺ قال { إذا كان يوم القيامة كنت إمام المؤمنين وحطيتهم وصاحب شقاوتهم غير نكير } ثم قال: حديث حسن .

قوله: { مثلى ومثل الأنبياء } المراد من ضرب المثل تعريف المواد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعانى بصورة الأشخاص، لأنها أثبت فى ذهن الاستعانة فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من التمثيل تشبيه الخلق بالجليل والغائب بالشاهد، قال الزمخشري: التمثيل إنما يمار إتيه للكشف المعانى، وإبداء المقوم من الشاهد، فإن كان المثل له عظم، كان المثل به مثله، وإذا كان حقيراً كان المثل به كذلك .. أم .

وقال الأسفهاني: ضرب العرب الأمثال واستحضار المعاني للنفوس، شقن نيس بالخفى فى إبراز خفيات الدقائق، ورفع الأسطر من الحقائق، توك المشطيل فى صورة المتحقق، وأفتوهم فى معرض القهقن، والغائب كأنه مشاهد . أم .

فالمراد من ضرب المثل فى هذا الحديث بيان حاله ﷺ مع حال الأنبياء قبله، وذلك أن الأنبياء السابقين بعثوا لقومهم خاصاً، فكانت شرائعهم محدودة تناسب حالهم وقومهم، فمثلهم

فى ذلك مثل دار بنيت وتم بناؤها إلا أنه يتكسبها موضع لبنة، حتى جاء النبي ﷺ طامعاً للنبوة، وبحث بشريته تامة عامة لا يمتريها نسخ ولا تبدل، فكان مكانه من تلك الدار موضع اللبنة الناقصة، فيه تم بناؤها وحسن مظهرها، واستوفت أوجه الكمال، ولهذا لم يبق الناس بعده فى حاجة إلى نبي أو رسول، واستفاد من الحديث جواز شرب الخمر فى العلم وغيره .

وقوله: فى الرواية الثانية { كنت أعلم النبيين وطغيهم وصاحب شقاوتهم غير فخر } [يفتح الله وكسر الحاء] أى: غير مدحوظ بذلك، على ما سبق بيانه، وللدارس بإسناد رجاله ثقات من جابر { أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا طامع التبيين ولا فخر، وأنا أول خالغ وأول مشفع ولا فخر } وفى هذه الروايات دليل قطعي على الأئمة والملائكة، لأن هذه الفضائل التى أعطوها لم تعط لنبي ولا ملك، ﷺ وزاده تشريفاً وتمظيهاً وتكريماً .

٢٤ - حديث: حوضى مسيرة شهر

عن عبد الله بن عمر بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ { حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء } أى: طوله كمركبه - وثأؤه أبهى من الزورق ويحبه أطيب من المسك ويكرهه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظلم بعده أبداً^(١)

قوله: { حوضى مسيرة شهر } أى: مسيره شهر طولاً وعرضاً وهذا كتابة عن عظمة وسعة .

قوله: { ماله أبهى من الزورق } [يكر الزاء] أى: الفضة، وفى رواية: اللبن

قوله: { كزواياه كنجوم السماء } . وفى رواية أخرى { والذى نفس محمد بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها }

قوله: { فمن شرب منه لا يظلم بعده أبداً } أى: ظناً ألام، ولكن يظلم ظمناً التذاد واشتبهاء . والظلم: العطش .

قال القسطلانى عفا: فذكر هذا الحديث فإن الشرب من الحوض يكن بعد الحساب والنجاة من النار، فهذا هو الذى لا يظلم بعده وشيل: لا يشرب منه إلا من قر له السلامة من النار، ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة وقر عليه بطول النار لا يحطب فيها بظلم، بل يكون عليه غير ذلك .. أم .

(١) رواه البخارى ومسلم . وأما حديث الحوض كثيرة بالغة مبلغ ثلثون

قوله: أحاديث الحروف متواترة والإيمان به واجب كما نص عليه القاضى عياض والنووى وغيرهما، وجمع الحافظ البيهقى فى كتاب (البعث والنشور) طرق حديث الحروف فلان، وأوصل الحافظ السيوطى عدد من رواه من الصحابة إل خمسة وخمسين صحابياً، ذكر أسمائهم واحداً واحداً، مع عزو أحاديثهم وتخرجها فى كتاب (الأزهار المتناثرة فى الأحاديث المتواترة)، وأنكره المعزلة، كما أنكروا الشناعة والميزان^(١) لجهلهم بالصفة النبوية.. والله أعلم.

٢٥ - حديث: ما منكم من أحد

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ { ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجنة وقربه من الملائكة } قالوا: وكيف يا رسول الله؟ قال { ولئلا يأتى إلا أن الله أعلمني عليه فأنتم فلا تأمرنى إلا بخير } رواه مسلم فى صحيحه.

قوله: { فأنتم فلا تأمرنى إلا بخير } قال النووى: برطب الميم وفتحها، روايتان مشهورتان فمن رفع قاله معناه: فأنتم أنا من شره وفتنته، ومن فتح قال: إن القرين أسلم من الإسلام، وصار لا يأمرنى إلا بخير، واختلفوا فى الأرجح منهما.

وقال الخطايب: الصحيح انطثار الرفع - ورجح القاضى عياض الفتح - وهو المختار لقوله ﷺ { فلا يأمرنى إلا بخير } واختلفوا فى رواية الفتح، فهل أسلم بمعنى: استسلم واتقاد، وقد جاء هكذا فى غير صحيح مسلم، فاستسلم، وقيل معناه: صار مسلماً مؤثماً، وهذا هو الظاهر.

قال القاضى: وأعلم أن الأمة مجتمع على عصمة النبي ﷺ من الشيطان فى جسمه وخاطره وأسمائه.. الخ.

قلت: الصحيح التراجع ما رجحه عياض والنووى: أنه أسلم من الإسلام^(٢) لما رواه

(١) وقدمه مبدع آخرى، فأنكر ليزون فى محاضرة له، كما قد فى كلمة له نشرت بمجلة الرسالة: إن الشيطان قوة الشر الكامنة فى النفس، وله غير هذا طنات ومصائب، أراد بها الشهرة والظهور على حساب الثم والدين، وكفى له فى الأرضيين من نظير.

(٢) روى الخطاوى فى مشكل الآثار حديث ابن مسعود كما فى صحيح مسلم، وروى عن طريق مجاهد عن الشعبي عن جابر قال: لقد قال النبي ﷺ { لا تدخلوا على النبيات - جمع مطهية وهى المرأة التى طهر منها زوجها بغير قوبله - فإن الشيطان يجرى من أعينكم بجرى الدم } قالوا: وسلك ما رسول الله؟ قال { ومنى ولكن الله أعلمني عليه فأنتم } - وروى أيضاً عن عائشة قالت: فحدث رسول الله ﷺ ليلة، وكان يعنى على فراشه، فوجدته ساجداً، وحدثت الحديث - قالت: فلما سمع

البزار عن أبي هريرة مرفوعاً { فقلت على الأنبياء بختين: كان شيطاني كافراً فآثمتني
الله عليه حتى أسلم، وشنت الأخرى }

واللهيتي في الدلائل بإسناد ضعيف، عن ابن عمر مرفوعاً { فقلت على آدم
بختين كان شيطاني كافراً فآثمتني الله عليه حتى أسلم، وكان أزواجي عوناً لي، وكان
شيطان آدم كافراً، وزوجه عوناً على خطيئته } وعلى هذا يرج أصحاب الخصائص لعدم
من خصائصه ﷺ إسلام قرينه، وفي الحديث الإخبار بوجود الثنتين مع كل واحد لتحترق
من سوسته وفنتته، والله المستعان على ذلك وبالله التوفيق.

٢٦ - حديث: حياتي خير لكم

عن ابن مسعود أيضاً عن النبي ﷺ قال { حياتي خير لكم تحبونها ويحدث لكم
ووفائتي خير لكم تفرغوا على أعمالكم فما رأيت من طهر خدعت الله وما رأيت من بر
استغفرت الله لكم }^(١)

قوله: { حياتي خير لكم } أي: فيها خيراً لكم، تحدثون - بضم التاء وسكون
الحاء وكسر الهمزة - أي أمور وأشياء مما لم يكن فيها حكم، ويحدث لكم - بضم الهاء وفتح

— انصرف قال (يا هاتئة أمدحك شيطانك؟) فقلت: أما لك شيطان؟ قال (ما من آدمي إلا
وله شيطان) فقلت: وأنت يا رسول الله؟ قال (وأنا ولكن دعوت الله فأعانتني عليه فأسلم) - قال
الطحاوي: فوفيتنا بهذا على أن رسول الله ﷺ كان في هذا المعنى كسائر الناس، وأن الله فاعان
بإسلامه، فصار في السلامة منه بخلاف غيره من الناس، ثم قال الطحاوي: فإن قيل فقتل: قد روي
في هذا الباب شيء، يجب الزئوف عليه لرفع الظنار فما حص به من إسلام شيطانه، ثم أسند من
حديث صفوان الأنصاري: أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال { بسم الله وضعت
جنسي اللهم أهدني فدي وأهد شيطاني وقت رجائي وأقتل ميزلي وأجعلن في الندي لأعني } فهذا
له: هذا عدلنا - والله أسلم - كان من رسول الله ﷺ قبل إسلام شيطانه، فلما أسلم استحل أن
يدعوا ﷺ فيه بذلك، مع إسلامه الذي هو عليه .. أم - وهو جمع جيد .. والله أعلم.

(١) رواه البزار بإسناد جوده الحفاظ الضعيف، وصححه الحفاظ القوي والجمال السويطي والشهاب
القسطلاني. ورواه إسماعيل بن إسحاق التميمي في كتاب فضلاء علي النبي ﷺ من حديث بكر بن
عبد الله المزني مرسلاً بإسنادين صحيح أحدهما الحفاظ بن عبد الهادي القيسي، وله مع هذا طرق
كثيرة، ورواه الأعمال عام لجميع المسلمين إلا طائفة من الصفة والبدعيين سبق القضاء بثبوت الوعيد
فيهم لا تعرض أعمالهم عليه، فإذا بعلمهم يوم القيامة إلى حوزة، قيل له: لا تدري ما أحدثوا من
بعدك، فيقول { سحاً لن يبدى .. سحاً لن يبدى } كما جاء في الصحيحين من طرق،
وبهذا يفتق الحديثان، ولا يحسن بيضهما تملأ من البشة، أما ترجمهم [عدائنا على الأخطار مع إمكان
الجمع فليس جائز لأنه إلغاء لأحد دليلين أقوي مقتضى، وهو حرام كما نرى عليه العلماء.]

العال الخففة - أي: يحدث الله لكم من الأحكام بقدر ما حدث منكم مما يقتضى ذلك .

قوله: { ويوفاني خير لكم } أي: فيه خير لكم ثم بين ذلك الطير بقوله { تعرض علي أعمالكم } وهذا لفظ عام يشمل عرض الأعمال من جميع الأمة إلا من كان مرتداً أو كافراً، هيئاً بالله تعالى، وهذا يستلزم حمله في قبره، لأن العرض يقتضى ذلك عقلاً، فما رأيت من خير حمدت الله عليه وسرت به، وما رأيت من شراً استغفرت الله لكم، أي: طلبت المغفرة لكم من الله، ولحمها تحريف على ترك العاصي بطريق الطول، لأن من علم أن عمله معرض على نفيه، اجتهد أن يسره وألا يحوجه إلى الاستغفار من عمله، وقد ذكرت هذا الحديث بإسناده، وأوردت بعض الطرق المأيدة له في كتاب [الرد المحكم للثنتين] فليراجع^(١).

٢٧ - حديث: إلا نسبي ونسبي

عن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للناس حين تزوج ابنة علي رضي الله عنه: ألا تهنوني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول { يَنْقُطُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ إِلَّا نَسَبِي وَنَسَبِي }^(٢).

قوله: { يَنْقُطُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ } وذلك لقوله تعالى { فَإِذَا نُفِخَ فِي الْعُودِ فَلَا أُنْسَ لِمَنِ هُنَّ فِئَةٌ وَلَا يَنْصَرِفُونَ } [الزمر: ١٨].

قوله: { إلا نسبي ونسبي } أي: فإنه موصول غير موصول، وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم كما ذكره الحافظ السهول في [الخصائص الكبرى] ولهذا حرص عمر بن الخطاب رضي الله عنه على زواج ابنة علي رضي الله عنه واسمها أم كلثوم، ليكون له من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب صدارة ينال بها القرب منه يوم القيامة، وفي هذا دليل على فضل أهل البيت وأن نسبهم موصول في الدنيا والآخرة، وإن في الانسحاب إليهم ومعارفهم شرفاً ولقبلاً، وليس بين هذا الحديث

(١) ثم أفرغته مجزء، سمعته [نهاية الأمل في صحة وشرح حديث عرض الأعمال] وهو مطبوع، ولما أطلع عليه شيخنا الحافظ أبو الفتح - رحمه الله - كتب إلى يقول: للملك فيه مثل قم الحافظ الذهبي والكتاب حلق طبعه لكتبة القاهرة .

(٢) رواه الطبراني والبرقاني، وقال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير الحسن بن سهل وهو ثقة، قلت: وصححه أيضا التاج السبكي في أول طبقات الشافعية الكبرى، ولحديث مع هذا طريق عن عمر وابن عباس والتبصر بن مخرمة وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر وشهرم - وقد أوردت هذه الطرق في كتابي [الرد المحكم للثنتين] وجمعت بينهما وبين حديث الصحيحين { بها طاعة أعلى فإني لا أمتي عنك من الله شيء } .

وحدثت لاطمة^(١) {أعشى.... الخ}، تعارض أصلاً كما بينته في {الرد المحكم للمثني} من ثلاث أوجه، وبينت فساد ما يزعمه الوهابية الجهلة أعداء أهل البيت النبوي الشريف، فإبراهيم بن آزاد، والله ولي التوفيق والسداد.

٢٨ - حديث: إنزال الملائكة تقاتل معه

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (رأيت عن يمين رسول الله ﷺ ومن يساره يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأند القتال ما رأيتهما قيل ولا بعد) يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام، رواه البخاري ومسلم.

قوله: عليهما ثياب بيض { يكسر الباء - وفي رواية أخرى: ثياب بياض } قال

(١) لغة الحديث { بها لاطمة بنت محمد سلمى من ماله ما شئت أنتقي نفسك من النار فإنني لا ألقى منك من الله شيئاً } وهذا طرف من حديث طويل، ثبت في الصحيحين وغيرهما، وحاصل الجمع بينه وبين حديث الترجمة من وجوه ثلاثة:

الأول: أن هذا الحديث أصل الحقيقة، فإنه ﷺ لا يعني عن أحد من الله شيئاً ولا يملك لأهله ولا للمؤمنين نصراً ولا خيراً، وهذا لا ينافي أن الله يملكه ينفع خلقه وجميع أمته بالشفاعة الخاصة والعامة، وقد فعل لأطراف عدة شفاعات، كما ثبت في الأحاديث الكثيرة في الصحيحين وغيرهما، فهو لا يملك إلا ما يملكه له سواه ﷺ، وقد ملكه الله شفاعة وغيره من المكرات، ذكر هذا المعنى: الحافظ المحقق الطبري في ذخائر القصص في مناقب ذوي النعم.

الثاني: أن هذا الحديث كان قبل أن يعلم الله أنه ينفع يوم القيامة رحمه وأقربيه بالانصاف إليه يوم القيامة، فذكره البشير السموي في جواهر التبيين، ويؤيده أن الحديث ورد عند نزول قوله تعالى { وَأَنْظِرْ فِيهِمْ تَرْكَ الْأَقْرَبِينَ } (الشعراء: ٢٦١) وكان ذلك بمكة في أوائل سنة النبي ﷺ.

الثالث: أن يكون القعود من الحديث تحذيرهم من الشرك، وأنه لا يملك لهم من الله شيئاً إن أشركوا. لو أشرك من كان منهم مشركاً على إشرافه، لأن المشرك لا حظ له في الشفاعة، ويقيد هذا أيضاً:

١- أن أغلب أقاربهم كانوا إذ ذاك مشركين، كما يعلم سبب ورود الحديث.

٢- أنه وجه الخطاب إلى جميع أقربيه مؤمنهم ومشركهم، فوجب أن يكون على وثيرة واحدة وهي التحذير من الشرك كما هو واضح.

٣- ما ثبت في الصحيح في قصة وفاة أبي طالب: أن النبي ﷺ قال له { أي عم قل لا إله إلا الله كشة أحيا لك بها عند الله } فأنشأ هذا الحديث أنه يملك نفسه ويحيا عنه إذا هومات على التوحيد، وقد روى أحمد والحاكم والبيهقي من طريق عبد الله بن محمد عقيل عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر { ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله لا تنفع يوم القيامة؟ بلى والله إن رحمى موصولة في الدنيا والآخرة، وإنني أيتها الناس فرط لكم على القعود } فهذا الحديث ورد ببلدنا، وقد أنكر فيه النبي ﷺ على من زعم أنه لا ينفع رحمه ولا يملك الشفاعة لهم، ولو أن رحمهم موصولة في الدنيا والآخرة، وأنه يجلب هذا ينفع أمته أيضاً، حيث يكون لوطاً لهم على الحوض وهذا يلزم ما قررناه، والحمد لله.

التورى: في هذا الحديث بيان كرامة النبي ﷺ على الله تعالى، وإكرامه إياه بإتزال الملائكة مقاتل معه، وبين أن الملائكة تقاتل^(١)، وأن قتالهم لم يختص بعزم بدر، وهذا هو الغروب، خلافاً لمن زعم اختصاصه، فهذا صريح في الرد عليه، وفيه فضيلة الثياب البيضاء، وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء بل يراهم الصحابة والأولياء، وفيه منقبة لسعد ابن أبي وقاص الذي رأى الملائكة ..^(٢)

ولقد رأى جماعة من الصحابة جبريل طفلاً في صورة حمة منهم: ابن عباس وعائشة وأم سلمة، وكانت الملائكة تسلم على عمران ابن حصين حتى اكتوى، ثم لما زال أثر الكى علمت في السلام عليه كما بينته في كتاب [الحجج البينات في إثبات الكرامات] وبالله التوفيق .

٢٩ - حديث: أتى باب الجنة يوم القيامة

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ (أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فيقول: محمد، فيقول: بك أبوت، إلا أفتح لأخرك فيلك)^(١)

قوله: { فيقول بك } أي: بسببك، ولأجلك أمرت، أي: أمرني الله ألا أفتح باب الجنة لأحد قبلك، لا من الأنبياء ولا من غيرهم، فهو أول من يفتح باب الجنة، ولول من يدخلها، هذا من خصائصه ﷺ كما ذكره العلماء^(٢).

٣٠ - حديث: أن رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير

عن ابن عباس مرفوعاً قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، إن جبريل ﷺ كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ، فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فإذا أجهل جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من النرج للرسالة^(١) وفي الصحيحين أيضاً عن جابر بن عبد الله قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا .

(١) وأنهم يقيمون بشفعة النبي ﷺ، وهذا أحد الأئمة على أنه أرسل إلى الملائكة .

(٢) رواف مسلم في صحيحه .

(٣) وهذا الحديث: رواف مسلم في كتاب الإيمان في صحيحه، ورواه الإمام أحمد أيضاً، وهو أول حديث في الجامع الصغير، والجامع الكبير للحافظ السيوطي . وعلة اعتق

(٤) رواف البخاري ومسلم .

قوله: أجود ما يكون في شهر رمضان، روى برفع أجود ونصبه، قال النووي: والرفع أصح وأشهر، وفي هذا الحديث كما قال النووي فوائد منها: بيان عظم جوده ﷺ. واستحباب إكثار الجود في شهر رمضان، وزيادة الجود والخير عند ملاقات الصالحين. وعقب فراقهم للتأثر بلغائهم، ومنها: استحباب ودراسة القرآن. أم.

وفي زاد المعاد لابن القيم ما نصه: كل من روى الله ﷺ أعظم الناس صدقة بما ملكته يده. وكل من لا يستكثر شيئاً أعطاه الله تعالى ولا يستقله، ولا يسأله أحد شيئاً عتده إلا أعطاه قلباً كان أو كثرهراً، وكان عطائه عطية من لا يحصى الفقر، وكان السطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الأخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينته كالريح المرسفة، وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان يتنوع في أصناف عطائه وصدقاته، قارة بالهبة، وقارة بالصدقة، وقارة بالهدية، وقارة بشراء الشيء، ثم يعطى البائع الثمن. واشلمة جميعاً. كما فعل بجابر، وقارة كان يقترهن الشيء فيرد أفضل منه، أكثر وأكبر، ويشتري الشيء فيعطى أكثر من ثمنه، ويقبل الهدية. ويكافئ عليها بأكثر منها، أو بأضعافها تطفلاً وتنوعاً في شروب الصدقة والإحسان بكل ممكن، وكانت صداقته وإحسانه بما يملكه، وبخلافه وبقله. فيخرج ما عنده ويأمر بالصدقة ويحس عليه ويدعوا إليها بحاله.

وقوله: فإذا رآه البهيم السحيح دعاه حاله إلى البيت والعطاء. وكان من خالقه وصحبه يرى أنه لا يملك نفسه من السحابة والندى، وكان عنده ﷺ يدعو إلى الإحسان والصدقة والمعروف. ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدراً وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً. فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيراً عجيبياً في شرح الصدر، وأضيف ذلك إلى ما خصه الله به من شرح صدره للنبوة، والرسالة وخصائصها ونواحيها، وشرح صدره حساً وإخراج حظ النعمان منه. أم. وهو نفيس جداً.

قوله: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، معناه كما قال العلماء: إنه إذا كان عنده شيء أعطاه للسائل، وإن لم يكن عنده سكت، أو وعد بالعطاء، ولا يقول: لا، إلا في هذه الكلمة من قطع طمع السائل وكسر خلطه، وما كان من خلقه ﷺ قطع رجاء من أمه، أو ربه خلتاً

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه أو يرجع الجار من غير محترم

وإذا كان الغريب يقول في حق من الملهدين ﷺ:

ما قال: لا قط إلا في تشهد لولا التشهد كانت لاؤه نعم

فما عنك بالنبي ﷺ ؟ فإن قيل هذا يخلو قوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَلُوا بِخِصَابِهِمْ قَالَتْ لَا أُجِدُ مَا أُحِبُّكُمْ عَلَيْهِ ﴾ (نساء: ٩١) حيث أثبت الآية الكريمة قد ما أتاه هذا الحديث، فالجواب: أنه لا منافاة بينهما لأن الآية لم تثبت له قول - لا - المجردة العامة على عدم الإعطاء، وإنما أثبتت قول - لا - للقراءة باللفظ المضارع لذلك على الحال، أي: لا أجِد الآن ما أُحِبُّكم عليه، وارجو في المستقبل، فهو في معنى العدة كما لا يخلو... والله أعلم.

٣٩ - حديث: أكثرُوا من الصلاة

عن أبي الدرداء رضي قال: قال رسول الله ﷺ { أَكثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ تَشْهَدُ الْمَلَائِكَةُ وَإِنْ أَحَدًا لَنْ يَمُتَ عَلَى إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهَا } قال: قلتُ وبعد الموت؟ قال ﷺ { إِنْ أَلْفَ حَرَمٌ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَكُنْ أَجْمَعًا الْأَنْبِيَاءُ }^(١).

وأحمد وأبي داود وابن ماجه من حديث أوس ابن أوس قال: قال رسول الله ﷺ { مِنْ أَفْضَلِ أَمْرِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِيهِ خَلِيقَ آتَمَ وَلِيهِ قُبْحُنَ ذَلِيلَةِ الْفُحْحَةِ وَفِيهِ السُّعْتَةُ فَأَكْثَرُوا عَلَى مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَرْغُوبَةٌ عَلَى } قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أُرْسِتْ - معنى: بلغت - فقال { أُنْ أَلْفَ حَرَمٌ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَكُنْ أَجْمَعًا الْأَنْبِيَاءُ } صححه ابن حبان والحاكم.

قوله: { أَكثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ تَشْهَدُ الْمَلَائِكَةُ } أي: يلتون أبواب المساجد ومكتبيون الأول فالأول حتى إذا خرج الإمام طورا الصحف وقعدوا يستمعون الذكر^(٢).

قوله: { وَإِنْ أَحَدًا عَلَى لَنْ يَمُتَ عَلَى إِلَّا عُرِضَتْ صَلَاتُهُ } من أول ما ينطق بها حتى يخرجه منها - بأن تبليغه الملائكة إليه فيدعوا الساعدين عليه ويستغفرون لهم، كما جاء في

(١) رواه ابن ماجه والطبراني بإسناد جيد، ورواه ابن القزويني عن طريق آخر، وزعمه في آخره من كلام النبي ﷺ { فَنُصِي اللَّهُ حِينَ يَمُوتُ }.

(٢) أي: الخطبة، وهو يكرر ذكر الله في آية الجمعة، فالسعي إلى خطبة الجمعة واجب، ولا عبرة بمن قال خلاف ذلك. والحديث يفيد أن الملائكة متعبدون بحضور خطبة الجمعة.

حديث عمر هند ابن بشكوال، والحكمة في تخصيص كثرة الصلاة عليه بيوم الجمعة أنه أفضل الأيام، كما صح في الحديث وهو أفضل المخلوقات، فكانت بينهم مناسبة ظاهرة .

قوله: { إن الله حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء } كناية عن عدم لحوق الهلي لأجسادهم الشريفة، مهما تطاول عليهم الزمان .

قوله: { فسيب الله حتى يحوط } هذا مأخوذ من القرآن الكريم، فلئن الله تعالى قال { وَلَا تُحْسِنَنَّ الصَّيَّةَ فَتُلَاقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } أمولاً بَلْ أَحْيَاءٌ حَيَّةٌ وَبِهِمْ يُدْقُونَ • فرحين بما تشاقم الله من فضله وَيَتَنَبَّهُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ } (١٦٩-١٧٠) والأنبياء أولى بهذا من الشهداء إجمالاً، وفي الصحيح: أن النبي ﷺ مر ليلة الإسراء على موسى وهو قائم يصلي في قبره، أخرجه مسلم عن أنس ولأبي يعلى بإسناد صحيح عن أنس مرفوعاً { الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون } وفي الباب أحديث ذكر الحافظ للبيهقي جملة منها في جزء حياة الأنبياء، وهو مطبوع، بل بلغت في الكثرة إلى حد التواتر كما نص عليه الحافظ السيوطي [في سقاة الصمود حاشية سنن أبي داود] وفي [إنهاء الأذكياء بحياة الأنبياء] : وأرجعها شيخ بعض شيوخنا العلامة المحدث أبو عبد الله السيد محمد بن جعفر الكنتاني في كتابه [نظم المتناثر من الحديث التواتر] وذكر القرطبي ووافقه ابن القيم: أن حياة الأنبياء في قبورهم مقطوع بها، وذلك لتواتر أحاديثها كما بينا، ولاتعتقد الإجماع عليها حكاه ابن حزم في المحلى . والحافظ السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب المشتمع وأنظر كتابي [الرد المحكم المتن] فقد حررت فيه هذا البحث تحريراً وافياً .

قوله: في حديث أوس: { فيها خلق آدم } الخ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً { خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها } ولأحمد وابن ماجه بإسناد حسن عن أبي لهية بن عبد الغفر مرفوعاً { أن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم النحر وفيه خمس خصال: خلق الله فيه آدم . وأعطي الله فيه آدم . وأعطى الله فيه آدم . وفيه توفي الله آدم وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا ريح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة } ولابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة مرفوعاً { لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضل من يوم الجمعة وما من دابة إلا وهى تفرح يوم الجمعة إلا هذين الثقلين الجن والإنس } .

قوله: { فرست } - بفتح الهمزة والراء - أي: صرت ربيعاً، وإنما قللوا ذلك لعدم

عليهم بما حسن الله الأنباء بعد وفاتهم، فأخبرهم ﷺ أن الأنبياء لا يهلون، فهو ﷺ حتى في قبره للشرف ثم رخص عليه أعمال أمته ومنها صلاتهم عليه، وإذا سلم عليه أحد رد عليه السلام كما ثبت في أحاديث أخرى، وروى البيهقي في جزء حياة الأنبياء عن سليمان بن سحيم قال: رأيت النبي ﷺ في اليوم فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك لمسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: (نعم وأرد عليهم) وروى أبو نعيم عن سعيد بن أسيب قال: لقد رأيتني ليل الجرة، وما لي بمسجد رسول الله ﷺ فيرى، وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت الأذان من القبر، ولزهر بن بكار في أخبار المدينة عن سعيد لمعه .

قوله: صححه ابن حبان والحاكم . قلت: قال الحاكم بعد أن رواه هذا الحديث صحيح على شرط البخاري: وسلمه الحافظ الذهبي .. والله أعلم .

تنبيهات

الأول: قال القاسمي ههنا: أعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجمعة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب^(١) وأجمعوا عليه .. نعم، والواجب منها تكلي في مرة واحدة، وما زاد عليها فهو مندوب مرغوب فيه لأنه من شعار الإسلام، وأما الصلاة عليه في التشهد الأخير من الصلاة فذهب الشافعي إل وجوبها وقال: تبطل الصلاة بتركها، ووافقه محمد بن المواز من أئمة المالكية، وتعب جمهور العلماء إل أنها سنة لا تبطل الصلاة بتركها .

الثاني: تسن الصلاة على النبي ﷺ في سائر الأزمان والأمكنة، لكن تتأكد في حالات خاصة ورويت بها السنة مثل يوم الجمعة كما ذكر في حديث الترجمة، قال الحافظ ابن حجر: تتأكد الصلاة على النبي ﷺ في مواضع ورد فيها أخبار خاصة أكثرها بألفاظ جارية عقب:

- ١ - إجابة المؤذن . ٢ - وأول الدعاء . ٣ - وأوسطه .
- ٤ - وآخره وأوله أكد . ٥ - وأطراف القنوت . ٦ - وفي أثناء تكبيرات الميعد .
- ٧ - وعند دخول المسجد . ٨ - والخروج منه . ٩ - وعند الاجتماع .
- ١٠ - الطلوع . ١١ - وعند السفر . ١٢ - والتقدم .

(١) قال بعض الطرفين:

ولنا له فضلاً فلهه مقبلاً
صلى عليه وسلموا تسليماً

لقد علم قبر جده محمداً
في محكم التنزيل فكان لخلقه

- ١٣- والقيام لصلاة الليل . ١٤- وختم القرآن . ١٥- وعند الكرب والهم .
 ١٦- قراءة الحديث . ١٧- وتبليغ العلم . ١٨- والذكر .
 ١٩- ونسيان الشيء .

وورد أيضاً في أحاديث ضعيفة:

- ١ - عند استلام الحجر . ٢ - وطنين الأذن . ٣ - وعقب الوضوء .
 ٤ - وعند الذبح . ٥ - والمطاس .

وورد الشئ منها عندهما أيضاً .. أم .

ومن المواضع التي تتأكد فيها أيضاً:

- ١ - التشهد الأول في الصلاة . ٢ - بعد التكبيرة الثانية في صلاة الجنازة .
 ٣ - وفي خطب الجمعة والعيمين . ٤ - وعند ذكره .
 ٥ - وعند الخروج إلى السوق أو دعوة . ٦ - وعند رؤية المساجد والمروء عليها .
 ٧ - وعند كتابة اسمه الشريف . ٨ - وفي أول النهار وآخره .
 ٩ - وعقب الذنب . ١٠ - وإذا أراد تكبيره .
 ١١ - وعند حصول القمر أو خوف حصوله . ١٢ - خطبة النكاح .
 ١٣ - وعند دخول المنزل . ١٤ - وعند عروض الحاجة . وأريد قضاؤها .
 ١٥ - وعند النوم . ١٦ - كل كلام خير ذي هاء .
 ١٧ - وفي الصلاة إذا مر ذكره حال القراءة . ١٨ - وإذا أراد الشخص الصدقة ولم يكن
 وفي غير التشهد . عنده مائل .

وقد ذكر الحافظ ابن القيم في [جلاء الإفهام] والحافظ السخاوي في [التلويح

المبهيغ] هذه المواضع مع إيراد ما ورد فيها من الآثار . وكلا الكتابين مطبوعان .

الثالث: قال أبو العالمة: معنى صلاة الله تعالى على نبيه تنالها وتعظمه، وتقل القاضى
 عبادته من بكر الشجرى قيل: الصلاة على النبي من الله تشريف، وزيادة تكريمه، وعلى من دون
 النبي رحمة، وقال الحلبي في [شعب الإيمان] هو كتاب نفيس ينقل منه البيهقي كثيراً في
 كتاب الأسماء والصفات: أما الصلاة في اللسان فهي التمجيد، وذكر كلاماً في هذا المعنى إلى أن
 قال: فإذا قلنا اللهم صل على محمد، قَبَلْنَا نريد اللهم عظم محمداً في الدنيا وأعلى ذكره وإظهار
 دينه، وإبقاء شريعته وفي الآخرة بتشجيته في أمته . وإجزال أجره ومعلومته . وإيداء فضله للأولين

والآخرين بالمقام المحمود، وتقدمه على كافة المقربين الشهيد .. أم.

قال الحافظ: ولا يكثر عليه عطف آل وأزواجه وذريته عليه. وإن لا يستمع أن يدهى لهم بالتمظيم، وإن تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به .. أم.

وأما تفسير الصلاة عليه بالرحمة أو المغفرة فقد أبطله ابن القيم، وخطأ نقله من عدة وجوه قوية ذكرها في (جلاء الإقيام) .

قال القاضي عياض رحمه في معنى السلام عليه ثلاثة وجوه:

الأول: السلامة لك ومعك ويكون السلام مصدراً كاللذاز والملاذاة .

الثاني: السلام على حفظك ورعايتك مثول له وكثير به، ويكون السلام هنا اسم الله تعالى

الثالث: أن السلام بمعنى المسافة له والابتعاد كما قال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ سورة: مائدة: ٤٤ .. أم.

الرابع: قال الشيخ مصطفي التركماني في شرح مقدمة أبي الميث ما نصه: فإن قيل ما الحكمة في أن الله تعالى أمرنا أن نصلى عليه، ونحن نقول: اللهم صلى على محمد، فقال الله تعالى أن يصلى عليه ولا تصلى عليه نحن بأنفسنا، معنى أن يقول المعيد: أعلى على محمد؟ قلنا: لأنه ﷺ ظاهر لا ميب فيه، ونحن فيها المعايير والتفاضل: فكيف يثنى من فيه معايير على طاهر؟ فقال الله تعالى أن يصلى عليه، لتكون الصلاة من رب طاهر على نبي طاهر، كما في المرفعتين .. أم.

ومن حكمة ذلك أيضاً كما ذكره أبو اليمن ابن عساكر وغيره: أننا لا نبلغ قدر الواجب من ذلك ولا نفوق ما يليق به، فوكلناها إلى الله تعالى لأنه يعلم ما يليق بنبيه . فهو كتوبه ﷺ { لا أحصى ثناء عليك } وباحت الصلاة عليه ﷺ من حيث فضلها ومواسمها وطوائفها وغير ذلك واسعة منتشرة، أفرغت بتأليف عديدة، ومن أحسنها وأجمعها [جلاء الإقيام في الصلاة والسلام على خير الأنام] لابن القيم، وأجمع منه كتاب [القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيح] للحافظ السخاوي، وهو كتاب نفيس لا يستغنى عنه، وقد جمع النبهاني في مقاصد هذين الكتابين وغيرهما في كتاب [سعادة العارفين] فجاء كتاباً حافلاً - رحم الله مؤلفه وجزاه عن صنعه خير الجزاء - وباقه التوفيق .

٣٢ - حديث: ما ضرب رسول الله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: [ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خائماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتقم من نفسه من محارم الله فينتقم منه ﷻ] رواه مسلم في صحيحه .

قوله: [ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خائماً] فيه دليل على حسن خلقه وكرم طبعه وكثرة حلمه، وفي الصحيح عن أنس [كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً] وقال أنس أيضاً [ختمت رسول الله ﷺ تسع سنين فما أعلمه قال لي لم فعلت كذا وكذا، ولا جاب علي شيء قط] والخبر عن حلمه ﷺ وسيره وعفوه عند المقصرة أكثر من أن يحصر، ويكفي دليلاً على ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [النجم: ١] .

قوله: [إلا أن يجاهد في سبيل الله] فيكون الضرب حينئذ في طاعة الله ومرجسته .

قوله: [إلا أن ينتقم شيء من محارم الله] وهذا استتله منقطع، وللعنى: لكن إذا انتقم شيء من محارم الله انتصر لله تعالى، وأنتم ممن ارتكب ذلك فيكون منتقماً لله لا نفسه، وفي الحديث استحباب الرق واللين والحث على العفو والحلم، واحتمال الأذى وترك ضرب الزوجة والطام وإن كان سيحاً، والاتصاف لدين الله تعالى، وعدم التساهل مع من ارتكب محرماً ونحوه، وأنه ينبغي للأئمة والقضاة والولاة أن يخلطوا بهذا الخلق الكريم، فلا يتساهلون ولا يتساهلون في حق الله تعالى، إلى غير ذلك مما بهمة العلماء .. والله أعلم .

٣٣ - حديث: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ

عن أنس قال [ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا نسجت بسكا ولا غلباً أطيب من ريح رسول الله ﷺ] رواه البخاري ومسلم .

وفي صحيح مسلم عن أنس أيضاً قال: دخل علينا رسول الله ﷺ فقال هتفا - نام نوم القهولة - فمروا، وجاءت أمي بفاوورة فجعلت تثلث الغرق فاستيقظ النبي ﷺ فقال { يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ } قالت: هذا غرق نجعله أطيباً وهو أطيب الطيب .

قوله: [ما مسست حريراً ولا ديباجاً] الخ، فيه دليل على لين من وطيب ريحه ومرقه، قال النووي: قال العلماء: كانت هذه الريح الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيباً .

ومع هذا فكان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة ،
وأخذ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين .. أنه .

وفي صحيح مسلم أيضاً من طريق آخر عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ أوفر اللون
كل عرق اللؤلؤ إذا مشى تكفاً ، ولا مست ديهاجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ
ولا شممت مسكة ولا هنبر أطيب من رائحة رسول الله ﷺ .

وقوله : { دخل علينا رسول الله ﷺ فقال عندنا } .. الخ ، معناه ظاهر وله طريق
آخر في الصحيح أيضاً ، والدارمي والبيهقي وأبي نعيم عن جابر قال [كان في رسول الله
ﷺ خصال لم يكن في طريق قبضه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيب عرقه أو عرقه - بفتح
العين - أي : ريحه - ولم يكن يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له] .

وأخرج أبو يعلى والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ
فقال : يا رسول الله إنني زوجت ابنتي وأحب أن تميتني ، قال { ما عندي شيء ولكن أنش
بقلووة واسعة الرأس وعود شجرة } فأتاه بهما فجعل النبي ﷺ يسلط العرق من زواجه
حتى امتلأت القارورة قال { فطعنا ومر أبنتك لأن تمس هذا المود في القارورة وتطيب
به } فكانت إذا تطيبت به يسم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب ، فسموا بيت المتطيبين .

وروى عندهما في الصحابة والخطيب في المؤلف من طريق أبي بكر بن عياش عن حبيب
بن حسرة عن حوش - بفتح الحاء المهملة - قال : كنت مع أبي حين رجم النبي ﷺ فاعزأ فلما أخذته
للحجارة ، أوردت فسمى النبي ﷺ إليه ، فسأل علي عن عرقه قال : مثل ريح المسك .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال : صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى^(١)
- أي : الظهر - ثم خرج إلى أهله ، فخرجت معه فاستقبله ولدان - جمع ولد - أي : صبيان ،
فجعل يمسح خدي إحداهما واحداً واحداً قال : وأما أنا فمسح خدي فوجدت ليدته برماً
أورجاً كأنها أطرجهما من جزئة عطار ، والجزئة - بضم الجيم وبالهيمز - وعندنا : سائلة
مستديرة يجعل العطار فيها ما عتده من الطيب .

وروى بن الأعرابي في جزءه القبل عن أسامة بن شريك قال : أتيت رسول الله ﷺ وعنده
أصحابه على رؤوسهم الخمر ، فجاء الأعرابي فأتوا رسول الله ﷺ ، ثم قام وقام الناس فجعلوا يقولون
يعد ، فأخذتها فوضعتها على وجهي ، فإذا هي أطيب من ريح المسك وأبرد من الثلج ، إسناده قوي .

(١) هذا أصل لما اعتاد أهل العرب من إطلاق لفظ الأولى على الظهر .

وفى صحيح مسلم عن أنس قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سلمة فنام على فراشها ولمست فيه، فجاءت يوم فنام على فراشها فالتفت - بكسر التاء الأول - فقيل لها هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك، فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم - بوزن مطم - على الفراش فتتحت عتيدها - بفتح العين، صنفون صغير تجمل المرأة فيه ما يحز من متاعها - فجعلت تشق ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففرغ - فاستوط - النبي فقال (ما تصنعين يا أم سلمة) فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال (أصبت) وفى هذا الحديث استحباب التبرك بآثاره ﷺ وقد وردت فى ذلك أحاديث كثيرة فى الصحيحين وغيرهما .. والله أعلم .



٣٤ - حديث: لا يؤمن عبد حتى يكون أحب إليه

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ { لا يؤمن عبد حتى يكون أحب إليه من ولده، ووالده والناس أجمعين } رواه البخارى ومسلم .

قوله: { لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من ولده } الخ . قال القاضى عياض وابن بطال وغيرهما: المحبة ثلاثة أقسام :

- ١ - محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد .
- ٢ - محبة رحمة وشفقة كمحبة الولد .
- ٣ - ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس .

فجمع ﷺ أصناف المحبة فى محبته أنه .

وقال الخطايب: لم يرد بالحديث حب الطبع، بل أراد به حب الاختيار. لأن حب الإنسان لنفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه، فمعنى الحديث: لا تعقد لى حبيبى حتى تنفى فى طاعته نفسك وتؤثر رفاى على هواك، وإن كان فيه هلاكك .. أنه .

وقال ابن بطال: معنى الحديث: أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ أنه عليه من حق أبيه ولبنه والناس أجمعين، لأن به ﷺ استشفنا من النار وهدينا من الضلال .. أنه .

وقال القاضى عياض فى شرح مسلم: ومن محبته ﷺ نصرته سنة والذب عن

(١) فالله خير الذين يمدون لولاه أشتهم على الحديث ويحلون فى تأويل النصوص وتحريكها لتوافق ..

شريعته وتمشي حطوره حياته ليهيئ نفسه وماله دينه، قال: وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلانه قدر النبي ﷺ ومنزله على والد روله، ومحسن ومفضل، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن .. أم .

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبي ﷺ: لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي، فقال النبي ﷺ: { إن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه } فقال عمر: والذي أتول عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي، فقال له النبي ﷺ: { الآن يا عمر }^(١) رواه البخاري في كتاب { الإيمان والتفويض } .

يزيد ابن إسحاق في السيرة واليهيئ في الدلائل: أن امرأة من الأنصار قتل زوجها وأخوها وزوجها يوم أحد مع النبي ﷺ فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالوا طيراً هو يحمي الله كما تحبون، فقالت: لمؤثره حتى ألتحق إليه، قلنا رغبته قللت بكل مصيبة يهلك جلاله . أي: صغيرة .

وقال علي عليه السلام: كان رسول الله ﷺ أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على النار .

قال سهل ابن عبد الله التستري: من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الأحوال، ولم يرى نفسه في ملكه ﷺ، لا يذوق حلاوة سنته، لأن النبي ﷺ قال { لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه } الحديث .. أم .

وقال الفرطبي: كل من آمن بالنبي ﷺ إيماناً صحيحاً لا يخلوا من وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، إلا أنهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأولي، ومنهم من أخذ بالحظ الثاني، كمن كان مستغرقاً في الشهوات محجوباً في الغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ويهذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدناً لا تردد فيه، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زهارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر لنا وفر في قلوبهم من محبته ﷺ، غير أن ذلك سرّح الزوال لتوالي الغفلات .

وما أحسن قول ابن أبي المجد:

ألا يا محب المصطفى زد صحابة وشمع لسان الذكر منك بطييه

— منهم، لا يصبون النبي ﷺ وإن ادعوا محبة بلسانهم .

{ ١ } أي: الآن تم إيمانك يا عمر .

ولا تمنأن بالمبطلين فإنا علامة حب الله حب حبيبه

والكلام في محبته ﷺ بحر واسع تقتصر من جواهره على ما تقتضيه . وما توليفنا إلا بالله .

٣٥ - حديث: والذي نفس محمد بيده

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال { والذي نفس محمد بيده لا يأتيني أحد من خلق الله خائفاً لها أبداً ، ولا يأتيني غير الإسلام يوماً فلن يقبل منه وهو في الفجرة من الخاسرين } أي سرورهم . وهذا نطق السنة المتواترة والنفذ عليه إجماع الأمة ، فلا حظ لليهودي ولا نصراني في دخول الجنة أبداً ، ومن شك في هذا ليس مسلماً . وبالله التوفيق .

قوله: { والذي نفس محمد بيده لا يأتيني أحد } إلخ ، معناه واضح وفيه دليل على أمور :

إحدها: جواز القسم على الأمور المهمة لتأكيد ما وثبتهما في ذهن السامع

ثانيهما: أن الإيمان به موقوف على بلوغ الدعوة ، فلو فرض وجود شخص في بعض المجاهل لم تبلغه دعوة الإسلام يكون معشوراً على الصحيح المعتبر في علم الأصول .

ثالثها: نسخ المثل كلها بزمائله ﷺ وهذا ثابت بالقرآن والسنة المتواترة وإجماع الأمة لعنكوه كافر بلا خلاف .

رابعها: أن الإيمان به ﷺ شرط أساسي في النجاة من النار ، فكل من لم يؤمن به دخ النار خائفاً لها أبداً ، قال تعالى { ومن يأتني غير الإسلام يوماً فلن يقبل منه وهو في الفجرة من الخاسرين } أي سرورهم . وهذا نطق السنة المتواترة والنفذ عليه إجماع الأمة ، فلا حظ لليهودي ولا نصراني في دخول الجنة أبداً ، ومن شك في هذا ليس مسلماً . وبالله التوفيق .

٣٦ - حديث: حرم رسول الله ﷺ

عن المقدم بن معدى كريب قال: حرم رسول الله ﷺ أشبه يوم خيبر من الحمار الأهلي وسفوره ، ثم قال ﷺ { يؤشك أن يفتد الرجل بكنكم على لركبته يحمته يحميني فيقول: يئني وتمكنكم يكتب الله لها وجداً فيه خلافاً مستحلفاً وما وجدنا فيه حراماً حراماً . وإن ما حرم رسول الله ﷺ ما حرم الله } رواه أبو داود والحاكم والبيهقي بإسناد صحيح

وفي رواية للبيهقي { أَلَا لَيْسَ أَوْحَيْتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ إِلَّا نُبُوتَكَ وَجُئْتُ فَتَبَعْتُ عَلَى أَمْرِيكَ يَقُولُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْقُرْآنُ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَاجْتَنِبُوا وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوا إِلَّا لَا يَحِلُّ لَكُمْ الْخِيَارُ الْأَخِيرُ } الحديث .

وَلَمَّا مَسَدَ أَبِي بَكْرٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا جِئْتَنِي أَنْ يَكُونَنِي وَجِلَّ
مَعَكُمْ وَهُوَ يُكَيِّدُ عَلَى أَيْمَانِهِ يَخْلُفُهُ الْحَدِيثُ عَلَى فَيَقُولُ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا، دَعَى هَذَا
وَهَاجَتْ مَا فِي الْقُرْآنِ { وَلِلْحَدِيثِ طَرَفٌ .

قوله: { حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خمير من الحمار الأهلي وغيره } وروى أحمد عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ { حرم يوم خمير كل ذي ناب من السباع والجمجمة - يسم الجهم وفتح الشاء المشددة، كل حيوان يعسك ويجعل غرضاً للرسم حتى يموت - والحمار الأنس } صححه الترمذى .

ولأحمد والترمذي بإسناد لا بأس به عن جابر قال: حرم رسول الله ﷺ مضي يوم
خميس لحوم الحمر الإثنية ولحوم البغال وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب - بكسر
الميم وفتح اللام - من الطير، زاد في حديث الثوري ابن سارية عند أحمد بإسناد لا بأس به
(بحرهم الطلبة) وهي بضم المهم وسكون اللام (الفرصة) - يستلذها الرجل من الذئب أو
السم فتصوت في يده لعل أن يذكبها، فمن بهذه الروايات ما أبهمته رواية حديث الترجعة.

قوله: {يُوحِثُكَ أَنْ يَتَّقِدَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى أُرَيْكَتِهِ} أي: سريره، يحدث: بالبناء للمجهول؛ أي: يحدثه أحد بعديني فيقول: بني وبهنيكم كتاب الله .. الخ، هذا من أهلام النبوة فقد وقع ما أظير به ﷺ، وظهر مبتدعة متحدة يشكرون المحدث التهوي عملاً واحتجاجاً، ويؤمنون أن الحجة في القرآن خاصة، فلبن ذكرت لهم قوله تعالى ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ الرُّسُولَ فَخُتُّوهُ﴾ (احضر ٧، لالوا: يعني في القرآن لا في غيره. وهكذا كل آية فيها الأمر بطاعة الرسول يحملونها على طاعته في القرآن فقط، ومنهم من يحتج لهذا الرأي الفاسد بحديث {ما جاءكم مني فأعرضوه على كتاب الله فما والله فلنا قلته وما طالفه قلم الله} وهذا حديث مكذوب. قال الشافعي: ما روى هذا أحد ينهت حديثه في شيء صغير ولا كبير، وإنما هي رواية منقطعة من رجل مجهول.

وقال يحيى بن معين: هو حديث مخرج، وضعه الزائقة، وقال عبد الرحمن بن مهدي: الزائقة والخوارج وضعوا حديث { ما أتاكم مني فاعرفوه } على كتاب الله { وقال

البيهقي في المدخل: هذا حديث باطل لا يصح، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن.

وقال الحافظ بن عبد البر في كتاب [العلم]: هذه الألفاظ لا تصح عن النبي ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سلفه، وعارض ابن حزم فقال: عرضنا هذا الحديث على كتاب الله فخالفه لأننا وجدنا كتاب الله تعالى يقول ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [نساء: ٥٧] ووجدنا فيه ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] ووجدنا فيه ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [آل عمران: ٥٨] وقد أوردت طرق هذا الحديث الباطل، وبنتت عليها في كتاب [الاشتهاج بتخريج حديث النهاج] في الأصول.

وقال الشوكاني في إرشاد الفحول: اتفق من يمتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مسئلة بتشريع الأحكام، وإنما كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام.

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال { ألا وأني أوتيت القرآن ومثله معه } أي: أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن، وذلك كتحریم لحوم الحمر الأهلية وتحريم كل ذي ناب من السباع ومختلف من التطهير وغير ذلك، مما لم يأت عليه الحصر أحد.

قلت: وقد اتحد إجماع الأئمة والعلماء على العمل بالسنة لمطهرة والاحتجاج بها في أصول الدين وفروعه، إلا ما كان من بعض المبتدعة الزنادقة الذين يريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون: نؤمن ببعض ونكفر ببعض، فإنهم خرجوا عن إجماع المسلمين ولزوا السنة ونقضوها وأعرضوا عنها، فتعدى الأئمة الرد عليهم، وعين زعيمهم وضلالهم، للإمام الشافعي في ذلك كلام طويل جميل، ذكره في الرسالة والفتاوى في المدخل. وعثق عليه بما يؤيده من الأحاديث والآثار. فزاده حسناً على حسن. وللإمام أحمد بن حنبل كتاب خاص في الرد عليهم، وفي كتاب العلم للحافظ ابن عبد البر باب خاص في هذا المعنى، ذكر فيه من نصوص الأئمة ما فيه الكفاية.

وللحافظ السيوطي رسالة (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة) وهي مطبوعة. ذكر فيها أنها ألغيت بسبب الغرض الذي سمعه يقول: أن السنة لا يحتج بها. وإن الحجة في القرآن خاصة، وهي رسالة مفيدة قيمة.

وللقاضي عياض في [الشفا]: فصل حسن هذا المعنى وكذا في (الواهب الدنية) وغيرها، والمقصود: أن السنة أصل من أصول الدين، لا يتم الإسلام إلا بالأحكام فيها والاستسلام لها كما قال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ لَمْ

لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ خَوْفًا مِمَّا قَضَيْتَ^(١) وَيَسْأَلُوا فَتُنَجِّيَهُمْ^(٢) (النساء: ٥٠).

وروى الإمام الشافعي رحمه يوماً حديثاً وقال: أنه صحيح فقال له قائل: أقول به يا أبا عبد الله؟ فاضطرب وقال: يا هذا أرى نفسي نصرانياً أرى نفسي خارج من كنيسة؟ أرى نفسي وسطى زلزالاً؟ أروى عن رسول الله ﷺ حديثاً ولا أقول به... فعد. وأقول الأئمة في هذا كثيرة جداً.

قوله: وإن ما حرم^(٣) رسول الله مثل ما حرم الله، أي: في وجوب الاجتناب كما

(١) قال الإمام أبي إسحق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن دحيم في تفسيره حدثنا شعب بن شبيب حدثنا أبو الغيرة حدثنا عتبة بن حمزة حدثنا أبي عن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ فقصي للمحق علي المبطل، فقال القاضي عليه: لا أرضى، فقال صاحبه ما تريد؟ قال: تلعب إلى أبي بكر الصديق، فذهب إليه، فقال الذي قصي له: قد اختصمنا إلى النبي ﷺ فقصي لي عليه، فقال أبو بكر: أنتما على ما قصي به النبي ﷺ، فإني صاحبه أن يرخصي وقال: غاشي من الخطاب، فأتاهما، فقال القاضي له: قد اختصمنا إلى النبي ﷺ فقصي لي عليه، فإني أن يرخصي. ثم أتيا أبا بكر الصديق، فقال أنتما على ما قصي به النبي ﷺ فأبى أن يرخصي. فسأله من ففتى بك ذلك، فدخل عمر فخرج والسيوف في يده فغرب به رأس الذي أبى أن يرخصي فقتله، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُلَاقُونَكَ حَتَّى يُخَكِّمُوكَ فِيهَا شِخْرَ بَيْنَهُمْ﴾ وقال أهما: حدثنا الجوزجاني حدثنا أبو الأسود عن أبي لهبة عن أبي الأسود عن هروة بن الزبير قال: اختصم إلى رسول الله ﷺ رجلان فقصي لأحدهما، فقال الذي قصي عليه: ردنا إلى عمر، فقال رسول الله ﷺ ﴿تعم الظلقتا إلى عمر﴾ فالتفتا فلما أتيا عمر، فقال الذي قصي له: يا ابن الخطاب إن رسول الله ﷺ قصي لي. وإن هذا قال ردنا إلى عمر، فرمنا إليك رسول الله ﷺ فقال عمر للذي قصي عليه: أكذلك؟ قال: نعم، فقال عمر: مكانك حتى أخرج لكلي بينكم. فخرج مشغلاً على سيفه فغرب الذي قال: ردنا إلى عمر فقتله، وأمر الآخر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن عمر قتل صاحبي ولولا ما أعجزته لتقتلي، فقال النبي ﷺ ﴿يا كذبت أهن أن عمر يجزئني على قتل مؤمن﴾ فأنزل الله تعالى ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُلَاقُونَكَ حَتَّى يُخَكِّمُوكَ﴾. فبأمر الله عمر من قتله، ورواه ابن أبي حاتم ومن مرويه في تفسيرهما من طريق وصع عن ابن لهبة عن أبي الأسود قال: اختصم رجلان، فذكر القصة ولمي آخرها: فافترق دمه، ورويت من شهر هذين الطريقين أيضاً وجاء في بعض الطرق به أن الذي قصي له يهودى، وإن الذي قصي عليه متخلف أسمة: بشر، فإن قيل: ثبت في الصحيحين عن هروة بن الزبير عن أبيه أنه خاصم رجلان من الأنصار، قد شهد بدراً إلى النبي ﷺ في شراج الحرة، كلنا مسلمين بها كلاهما، فقال للنبي ﷺ للزبير ﴿اسق ثم أرسل إلى جارك﴾ فطلب الأنصاري وقال: يا رسول الله إن كان ابن هتاك، فلتون وجه رسول الله ﷺ ثم قتل للزبير ﴿اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجبر ثم أرسل الماء إلى جارك﴾ فاستوفى رسول الله ﷺ للزبير حقه، وكان قيل ذلك أسلم على الزبير برأى أراد فيه سمة للأنصاري وله، قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية أنزلت إلا في ذلك ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُلَاقُونَكَ حَتَّى يُخَكِّمُوكَ﴾ فهذا الحديث ينافي ما تقدم، قلنا: لا تنافي بينهما، لأن الزبير لم يجرم بل أن الآية نزلت بسبب هذه العداقة وعلى فرض وجود الجرم بذلك كما جاء صريحاً عن سعيد بن السبب، علق أبي حاتم فجوز تعدد الأسباب لنزول الآية الواحدة، على أن ابن جرير الطبري اختار أن تكون الآية نزلت في المنافق واليهودى، ثم تناول يمدومها قصة الزبير، قال ابن العربي في الأحكام: وهو الصحيح... فعد.

(٢) لا يعارض هذا قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ فَمُبَشِّرٌ مُرْضَاتٍ تُؤْمِنُونَ﴾ —

قال في الحديث الآخر (وإذا انتهكت من شيء فاجتنبوه) .

قوله : { ألا أنسى لو كنت للكتب ومثله معه } في رواية أخرى { ومثله معه } بالثنية ، أى : لو كنت مثل القبرين من السنة كما تقدم في كلام الشوكاني . وذلك أن لوحى نوحان : مثلو : هو القرآن الكريم ، وغير مثلو وهو الحديث الشريف ، فطاعتها واجبة على كل مسلم .

قوله : { يبلغه الحديث عنى فيقول ما قال الرسول هذا } الخ ، فيه دليل على أن نفي ورود الحديث لا يكون حذراً على ترك العمل به ، بل بعد تكذيباً له إلا إن دلت القواعد الحديثية على عدم صحته ، فحينئذ يكون الرد على من تركه : ومن هنا تعلم ضلال ما عليه مبتدعة اليوم - وفيهم كثير من الأزهريين - من تخلصهم من السنة وفراهم من العمل بها ، وحقق غيرهم على إلثامها بقولهم : هذا حديث غير صحيح ، أو يخالف العقل ، أى : عقلهم القاصر ، أو يخالف العلم الحديث ، أو هذا اتحاد المطلوب التواتر ، أو طرد الحديث بظنيرة أو هذا من الإسرائيليات ، وتخو هذا مع الأضرار الواهية التي يتخذونها ذريعة إلى رد السنة النبوية . مع أن أهل الأزهر لا يعرفون الحديث ولا يميزون بين صحيحه وسقمه ، ولا بين مقبول ومردود ، بل هم أبعد الناس عن هذا العلم الشريف وأجهلهم به ، ولو اطلعت على مذكراتهم في المصطلح والرجال وشرح أحاديث الأحكام ، لرأيت فيها من فضائح الجهل ما يضحك الكلبي ويسلب الحزين . ولهذا أكثر فيهم من يبتغى الحديث الشريف ويناسبه المدا ، ويدعوا إلى إجماله وعدم الاحتياط به . ويخرج بذلك في غير حجل ولا استحياء ، ولا عجب في ذلك فتديماً قيل { من جعل شيئاً هباءً } وإنما العجب أن يعمشوا على حساب الدين في وقت يحاربون فيه سنة صاحب الدين . إن هذا لهم منتهى العجب ! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



== (التحريم : ١) أن التحريم يطلق بمعنىين :

أحدهما : منع الشيء شره بحيث يأنف فاعله . وهذا هو المراد في الحديث ، لأن النبي ﷺ لما وجد الصحابة يوم ظهور يطبخون لحوم الحمر الأهلية ، أمرهم بأهراق ما في القدور وأخبرهم أنها لا تحل لهم فصارت حراماً كتحريم ليلة النعوسة في القرن .

والثاني : الامتناع من الشيء مع إباحته لسبب غير شرعي ، وهذا هو المراد في الآية فإن النبي ﷺ لم يمنع من قربان مارية ليرفسي زوجته حفصة . فعاتبه الله على أن منع نفسه ما أحله الله له . فابتداءً من هذا أزواجه . وهذا مثل قوله تعالى (وَخَرُفْنَا عَلَيْهِ الْفُرَاشَ مِنْ قَبْلِ) (التكوير : ١٢) فإن موسى ﷺ كان راضياً لا يملق به تكلف لكنه امتنع من قبول الفرائض ، حتى جاءت أمه فالتفت إليها

(١) كذا بالخطوط ، ويبدو أن فيه سقطاً تقديره : ومع أن بعضاً من أهل الأزهر ... الناصر .

٣٧ - حديث: أوتيت مفاتيح كل شيء

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال { أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخس } إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ السَّاعَةَ وَيُزَكِّي النَّفْسَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا تَكْتُمُ عَنْهُ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ { الحسن: ٣١ } رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح .

وفى الصحيحين عن حذيفة قال: قام فبينا رسول الله ﷺ مقاماً ما نرك فيه شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، حفظه من حفظه، ولسه من نسبه، إنه ليكون منه الشيء قد كنت لشيئه ظراً فذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه .

قوله: { أوتيت مفاتيح كل شيء } أي: من العلوم والمعارف وسائر المغيبات، قال القاسمي عياض في الشفاء في فصل ما أطلع عليه من الغيوب ما نصه: والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك لعمري، ولا ينزف لعمري، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواسل [لنا طبعها على التواتر لكثرة رواياتها واتفاق معانيها على الإطلاع على الغيب .. أنه قد ورد جملة منها فلهذا راجع .

وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ { إِنَّ اللَّهَ قَدْ رَفَعَ لِي الدُّنْيَا فَلَمَّا أَتَيْتُهَا وَإِلَى مَا هُوَ كَالَّذِينَ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّمَا أَنْظَرُ إِلَى كَفَى هَذِهِ } وقد أخبر النبي ﷺ بكثير من أحوال هذا العصر ومخترعاته، جميعها شقيلنا الحافظ أبو الليث رحمه الله في كتاب [مطابقة الاختراعات المصرية بما أخبر به سيد البرية] وهو طبع مكتبة القاهرة .

قوله: { إلا الخس } إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ السَّاعَةَ وَيُزَكِّي النَّفْسَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا تَكْتُمُ عَنْهُ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ { الحسن: ٣١ } وفى صحيح البخاري عن ابن عمر مرفوعاً [مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد إلا الله، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام إلا الله، ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يدري أحد متى يحيى الميتر إلا الله] ومتضمنى هذا أنه لم يكن ﷺ يعلم الخس، وإليه ذهب الجمهور، ولكن قال الحافظ السيوطي في الخالص الكبير: ذهب بعضهم إلى أنه ﷺ لم يكن يعلم الخس أيضاً وعلم وقت الساعة والروح وأنه أمر بكم ذلك .. فنتهى، وبه جزم كثير من المتأخرين .

وللإمام منصور الهادي في هذا الموضوع كتاب اسمه [قائمة شرايع المنقول والمقول على إحاطة علم نبينا الرسول] ومالك الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الحى الحلبي العلامة

لمحدث عبد الملك بن محمد التجموحتى قاضي سجلماسة عن هذه المسألة فأجاب: برسالة خاصة سماها [ملان الطالب وجواب أستاذ حلب] جزم فيها بأنه **كَلَّا** كان يعلم الخمس .

والشيخ أحمد رضا علي خان البريلوي الهندي في هذا الموضوع ثلاث رسائل: [مائى الجيوب معلوم الغيب] [التلوي للكنون في علم البشر ما كان وما يكون] [إنهاء المحطى بما أسر وأطلى] .

وقال العلامة أبو عبد الله محمد المحيبي ابن عبد القادر السجلماسي الحمصي في شرح منظومة الأسماء الحسنی للهلال: يجب علينا أن نعتقد أنه **كَلَّا** لم يخرج من الدنيا حتى حصل له العلم بجميع المعلومات: للحديث الصحيح { أوتيت علم كل شيء وتجلي لي كل شيء } وما ورد مما يخالفه، منوع بهذا، وبه تظهر مزجه والفضيلة العلمية على سائر الأنبياء، بعد اشتراكهم في علم الغيب المستثنى لهم في آية { فلا يظهر على غيبه أحداً } إلا من أوتى من رسول (وهو ٢٧) قال فيهم بعض المفسرين: يريد أو ولي. لأن الولي وارث العلم عن النبوة .. أحد .

وفي شرح أنموذج الغيب للعلامة شمس الدين محمد بن محمد بن عمر الرواسي القلبي ما نصه: الصحيح كما قاله المحققون أنه **كَلَّا** أوتى علم كل شيء حتى الخمسة وحتى علم الروح وأسر بكم ذلك .. أحد . ونحوه في شرح الجوهرة اللقاني لمؤلفها، وشرح الأربعين النووية للشيخ رحمتي وغيرهما. وفي فصوص الغدير بشرح الجامع الصغیر للعلوي في الكلام على حديث { خمس لا يعلمهم إلا الله } الخ، ما نصه: خمس لا يعلمهم إلا الله على وجه الإحاطة والشمول، كلياً وجزئياً، فلا يخفى فيه إطلاع الله به على خواصه على كثير من الغيبات حتى من هذه الخمس، لأنها جزئيات معدودة. وإن كان للمعزلة في ذلك مكايدة .. أحد .

قلت: والذي أرجحه وأميل إليه أنه **كَلَّا** لم يخرج من الدنيا حتى علمه أنه هذه الخمس لأنه لم يزال يترقى في العلوم والمعارف كل يوم. بن كل لحظة وحسوم الأحداث يشهد بذلك.

منها حديث البخاري عن أسماء بنت أبي بكر: أن النبي **كَلَّا** حمد الله وأثنى عليه ثم قال { ما من شيء لم أكن أريته قبل إلا رأيته في مقاس هذا حتى الجنة والنار } وهذه الخطبة كانت بالهدنة .

ومنها حديث سمرة بن جندب قال: كسفت الشمس، فعلى النبي **كَلَّا** ثم قال { إني والله لقد رأيت منذ فمت فعلى ما أنتم لاقوه من أمر دنياكم وأخراكم } حديث صحيح رواه أحمد وغيره .

ولا يتنافيه قوله في حديث الترجمة { إلا الخمس } لأنه كان قبل أن يعلمها، ثم علمها بعد ذلك، وهذا كما نهى عن تقصيله على موسى ويونس وإبراهيم عليهم السلام، ثم أخبر أنه أفضل الأنبياء، ورد على من دعاه سبياً بأن السيد الله، ثم أخبر أنه سيد ولد آدم، وأمره الله تعالى في القرآن أن يقول للكفار ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ جَنَمٍ بِالْعَلَىٰ إِلَّا أَنْ يَخْتَصِمُون ﴾ (س: ١٠٩) ثم أخبر بعد ذلك أن الله أطلعه على خصائصهم.

ففي حديث ابن عباس ومعاذ وغيرهما عن النبي ﷺ قال { رأيت ربي في أحسن صورة فقلت يا محمد، قلت: لبيك رب وسعديك، قال: أأندري فهم يختصم اللأ الأعلى؟ قلت: لا أرى يا رب، قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها في صدري فتجلى ل كل شيء وعرفت } وتكرر الحديث وهو في سنن الترمذي وسند أحمد وغيرهما بطرق متعددة، وهو حديث صحيح^(١)، وقد تكلمت عليه في [قمع الأشرار من جريمة الانتحار] للطبوع للناسر مكتبة القاهرة مع [الأريمين القارية] وشرحه الحافظ بن رجب في جزء مطبوع اسمه [اختيار الأعلى في شرح حديث اختصام للأعلى] وهذا الحديث أحد الأدلة على علمه بالخمس أيهاً، لأن قوله { فتجلى ل كل شيء } عام بل هو أقوى صريح المصوم، كما تقرير في الأصول.

قوله في حديث حذيفة: { قام فينا رسول الله ﷺ ملاماً ما ترك فيه شيئاً إلى قيام الساعة } يعني من الفتن والحوادث وغيرها إلا ذكره، الحديث. نحوه قول عمر: { قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بهيمة الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسبه من نسبه } رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، ووصله الطبراني، وقال أبو زر: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً، رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح، وكذلك قال أبو الدرداء، رواه أبو يعلى والطبراني وغيرهما ... والله أعلم.

٣٨ - حديث: إن أعمى كانت

عن ابن عباس قال: إن أعمى كانت له أم ولد على عهد رسول الله ﷺ لتكثر الوقعة في رسول ﷺ وتقتله فقتلها الأعمى، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ { أشهد أن منيها

(١) نقل الترمذي من البخاري أنه قال حديث صحيح.

خَيْرُ { رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَهَذَا لُغَةً ، وَفِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، وَاللُّغَةُ لِلْقَوْلِ مِنْ أَبِي بَرْزَةَ قَالَ : { كُنْتُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَجُلٍ ، فَاسْتَقْدَمَ عَلَيْهِ فَقُلْتُ : السُّنَنُ لِي بِهَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ أَضْرِبُ عَنْقَهُ ، قَالَ : فَالْجَنَابُ كَلِمَتِي فَضْبَهُ فَطَمَ فَخَلَّ ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ وَقَالَ : مَا الَّذِي قُلْتَ أَنْفَعًا ؟ قُلْتُ : السُّنَنُ لِي أَضْرِبُ عَنْقَهُ ، قَالَ : أَكُنْتُ فَأَعْلَا لَوْ أَمَرْتُكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : يَا وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِبَشَرٍ بِعَدُوِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ } صححه الحاكم ، وابن تيمية

قَوْلُهُ : { إِنْ أَمَرِي كَانَتْ لَهُ أُمٌّ وَلَدٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَكْثُرُ الْوَقِيعَةُ فِيهِ .. الْحَبِّ } وَفِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَسَنَنِ ابْنِ بَرَّةَ عَنْ الشَّيْخِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ ، وَتَقْعُ فِيهِ لِحَنَّتُهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ ، فَأَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمَلَهَا ، وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ : أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ أَعْمَى .

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي كِتَابِ [الصَّارِمِ الْمَلُولِ عَلَى شَاةِمِ الرُّسُولِ] وَهَذَا الْحَدِيثُ نَصَرًا فِي جَوَازِ قَتْلِهَا ، بِمَعْنَى : الْيَهُودِيَّةِ ، لِأَجْلِ شَتْمِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَدَلِيلٌ عَلَى قَتْلِ الذَّمِّ ، وَفَتْلِ الْمُنْظَرِ وَالصَّلَاةِ إِذَا سَاءَ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى .. أَمَّا : وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْمُنْظَرِ : أَجْمَعَ حَوَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ بِقَتْلِ ، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ مُلْكٌ بَنُ نَتْسَ ، وَالْأَمْتُ ، وَأَحْمَدُ وَاسْتَحَقَّ وَهُوَ مِنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ . أَمَّا :

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّالِي فِي [الشُّغْلَةِ] : أَعْلَمُ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ لَوْ عَابَهُ أَوْ الْحَقَّ بِهِ نَقْصًا فِي نَفْسِهِ أَوْ لِسَانِهِ أَوْ دِينِهِ أَوْ خَصْلَةٍ مِنْ خَصَالِهِ أَوْ عَرَضَ بِهِ أَوْ شَبَّهَ بِشَيْءٍ عَلَى طَرِيقِ السَّبِّ لَهُ أَوْ الْإِزْدَاءِ عَلَيْهِ لَوْ التَّصْفِيرَ لَشَأْنُهُ لَوْ الْغُلُوبَ مِنْهُ وَالْمَنْهَبَ لَهُ ، فَهَرَّ سَابَّ لَهُ وَالْحَكْمُ فِيهِ حَكْمُ السَّابِّ ، بِقَتْلِ كَمَا نَبَّيْتِ

وَلَا نَسْتَلْتَنِي فَصْلًا مِنْ لُصُوقِ هَذَا الْغِيَابِ ، وَعَلَى هَذَا الْقَصْدِ وَلَا تَمْتَرُ فِيهِ ، نَصَرَهَا كُنَّ لَوْ تَوَهَّجًا ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَعَنَهُ لَوْ دَعَا عَلَيْهِ ثُمَّ تَمَّ بِشَرِّهِ لَهُ لَوْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا لَا يَلِيقُ بِمَنْصِبِهِ عَلَى طَرِيقِ الذَّمِّ ، أَوْ عَيْتَ فِي جِهَتِهِ الْعِزَّةَ بِسُلْطَنِ الْقَلَامِ ، وَهَجَرَ وَتَكَرَّرَ مِنَ الْقَوْلِ وَزَادَ ، أَوْ هَجَرَ بِشَيْءٍ مِمَّا جَرَى مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمُحَنَةِ عَلَيْهِ ، لَوْ سَمِعَ بِبَعْضِ الْمَوَارِثِ الْبَشَرِيَّةِ الْخَائِزَةِ وَالْيَهُودِيَّةِ لَدَيْهِ ، وَجَاءَ كُلُّهُ إِجْمَاعُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأُئِمَّةِ الْقَوَى مِنْ لَدُنِ الصَّحَابَةِ إِلَى هَلَمْ جَر .. انْتَهَى .

وَقَالَ الْإِسْلَامُ مُحَمَّدُ بْنُ سَنُونٍ : أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ شَتْمَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُنْتَقِصِينَ لَهُ كَافِرٌ ، وَالْوَعِيدُ جَارٍ عَلَيْهِ بِمَذْهَبِ اللَّهِ لَهُ ، وَحَكْمُهُ عِنْدَ الْأُمَّةِ الْقَتْلُ ، وَمَنْ نَكَ فِي كُفْرِهِ وَهَذَا كَثُرَ .. أَنْتَهَى .

وقال الإمام ابن عثاب: الكتاب والسنة مرجهان فمن قصد النبي ﷺ بأذى أو نكص مكرهاً أو مصرحاً وإن قل فقتله واجب .. انتهى .

وسمع رجل قوماً يتذكرون صلاة النبي ﷺ إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم: تريدون تعرفوا صفته؟ هي في صفة هذا اللار في خلفه ولحيته، فأفتى الإمام ابن أبي زيد القيرواني بقتله وعدم قبول توبته .

وأفتى الإمام أبو الحسن القاسبي فحين قال في النبي ﷺ يتهم أبي طالب أنه يقتل . وفتاوى العلماء ونصوصها في هذا كثيرة ^(١) .

قوله: { كنت عند أبي بكر لتفوط على رجل } الخ، لهذا الأمر طرق عند الناس وجمهوره . وروى قاسم بن أصبغ في مصنفه، ومن طريقة ابن حزم عن أبي برزة قال: أفلط رجل لأبي بكر الصديق، قلت: ألا اقتله؟ فقال أبو بكر رحمه الله: ليس هذا إلا أن شتم النبي ﷺ، وروى أيضاً عن عبيد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه كان على الكوفة لعمر بن عبد العزيز فكتب إلى عمر: إني وجدت رجلاً بالكوفة يسبك وقامت عليه البيعة، فهممت بقتله أو قطع يده أو قطع لسانه أو رجله، ثم بدا لي أن أراجعك فيه، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز سلام عليك، أما بعد: والذي نفسي بيده لو قتلته لقتلتك به، ولو قطعته لتقطعك به، ولو جلدته لأجلته منك، فإذا جازك كتابي هذا فأخرج به إلى الكناسة، فسيه كالذي سيئني أو أصغ عنه فإن ذلك أحب إلي، فإنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحدٍ من الناس إلا رجلاً سب رسول الله ﷺ .

(١) من ذلك ما حصل بمقولة سنة ٧٨٩ هـ وهو أن رجلاً قال لأخي أن عبوك وعبدك عليك، فجلس له مجلس فافتى بعض المالكية بأنه مردد وأخذ كثره من قوله تعالى ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ٩٨) وافتى بعضهم بأن كثره كفر قتلهم، فلا يستتاب، وأخذ ذلك ما في الشافعي من أن امرأة سبت النبي ﷺ فقال (من يكلمني عبوتها) فقتلت، ومن كون خلاف ذلك من قال له عن النبي ﷺ: صاحبكم، ومن إفتاء ابن عثاب بقتل من قال: إن سألت أبو جهل فقد سألت وجهك نبيك، واعترف بعضهم بأن الحديث نص في أن كل سب عدو ولا شك فيه، وإنما الكلام في عكس هذه القضية، وهي لا تنعكس كذلك، لكن (تنعكس في جزئية سببة وهي بعض العنوا ليس بسب) بل قوله أنا عبوك وعبدك عليك، ربما أشعر بترقيق القول له ذلك، لأننا نجد الوعد، يحصلون لنفسهم مثله بذلك، ويقول الواحد منهم: أنا عبو الأمير، والأمير عبو لي، وقصد به رفع نفسه لأنه في رتبة من يعادي الأمراء، وبأن قتل خالد بن زكريا مذنب محلي على أن عمر عليه رضى القتل عن بيت المال، وراى أن قتله غير مذنب، وبأن إفتاء ابن عثاب إنما هو لأن ما ذكر في قصته صريح في التنقيص، فالتحقيل فن قاتل ما مردد لا منقص .. نعم . والبرء من المالكية يستتاب، أما المتنس فإنه يقتل بلا استتابه . قال العلامة ابن حجر الهيتمي الشافعي: أما على قواعدنا فلا بد من أن يظهر أنه مردد .

وروى محمد بن عبد الملك بن أحمد، ومن طريقه ابن حزم عن علي بن المهدي قال: سئلت علي أمير المؤمنين فقال لي: أتعرف حديثاً مستنداً فومن سب النبي ﷺ لم يقتل؟ قلت: نعم وذكرت له حديث عبد الرزاق عن معمر بن سفيان عن الفضل بن عروة عن محمد بن رجل من بلقين قال: كان رجل يشتم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ {من يكلمني عدواً لي} فقال خالد بن الوليد: أنا، فبعثه النبي ﷺ فلقته، فقال أمير المؤمنين: ليس هذا مستنداً، هو عن رجل، فقلت يا أمير المؤمنين بهذا يعرف هذا الرجل وهو أسد، وقد أتى النبي ﷺ بهابسه وهو مشهور معروف، قال: فاسر لي يألف دينار.

وقال ابن حزم: هذا حديث مستند صحيح، وقد رواه علي بن المهدي عن عبد الرزاق كما ذكره، ثم قال ابن حزم بعد ذكر ما تقدم من الآثار ما نصه: فصح بما ذكرناه أن كل سب الله تعالى أو استهزاء به أو سب ملكاً من الملائكة أو استهزاء به أو سب نبياً من الأنبياء أو استهزاء به، أو سب آية من آيات الله تعالى أو استهزاء بها - والشرايع كلها والقرآن من آيات الله تعالى - فهو بذلك كفر مرتد، له حكم المرتد، وبهذا تقول . . .

قلت: يدخل في هذا ما بلغني عن بعض السبكيين ممن انضم أهلوا إلى الصوفي - قصه الله - أنه قال في مجلس يضم كثيراً من الناس: إن القرآن ناقص، لأنه لم يشر إلى المخترعات الحديثة، وأنه كان الواجب أن يقول: وإن لكم في الأرنهوم لعبرة بذلك قوله ﴿وَلَيْنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُفَكِّرَ﴾ ومنه، وهذا كما ترى كفر صريح يوجب قتل صاحبه - والصديق بالله .

تقديم

كثير ما يحصل بين الناس أن يذكر أحدهم نبياً من الأنبياء أو ملكاً من الملائكة على سبيل شرب المشل كأن يقول: إن قول في المسوء فقد قول في النبي، وإن كذبت فقد كذب الأنبياء، أو سمعت كصبر أيوب، أو لا أفضل كذا ولو نزل على جبريل - أو أنا أسلم من ألسنة الناس، ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله، أو كل الناس أذنبوا حتى الأنبياء - ونحو هذا مما يدور بين الناس في محاوراتهم ومخاطباتهم .

قال المتأخرى ههنا في [الشفاء] بعد أن ذكر كثيراً من الأمثلة من هذا القبيل ما نصه: فحق هذا - إن دري عنه القتل - الأرب والسجن، وقوة تعريزه بحسب شدة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به، ومألوف عاداته كقله أو ندوره أو قرينة كلامه أو ندمه على ما سب

سته - ولم يزل المستقدمون ينكرون مثل هذا من جده به .. اهـ - ثم نقل فتاوى خيرين عهد
المعز ومالك وسحنون وغيرهما، فليراجع كلامه، فإنه أجاد فيه غاية الإجابة .

وللحافظ السيوطي رسالة (تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأفعياء) ألفها بسبب حادثة
وقعت من القليل المذكور، وهي بطبعة في كتابه [البخاري للفتاوى] ومن قلة الأدب مع
النبي ﷺ ما سمعته من عالم أزهري - وهو في الواقع جعله - سمعته يقول في مجلس
خطيب: إن محمداً أخطأ وسجل الله عليه الخطأ في القرآن أحاديثاً مرتين أو ثلاثاً، فأخذ
بعض الحاضرين حماسة الإيمان وود عليه بأن هذا لا يليق، وإن النبي ﷺ لم يخطئ، فأمر
على مقاوته وأعادها، وقال: إنه يأسف على نصريه هذا ولكن دعاه إليه التعليم .

قلت: ما كان أحوج به أن يأسف على قلة أديبه وكثرة جهله وفطر حنقه وتمصبه :
ومقام النبوة أعلى وأجل من مثل هذا التمهيد الشنيع .

قال ابن السبكي في جمع الجوامع: والصواب أن اجتماعه ﷺ لا يخطئ قال شارحه
الجلال المحلي: تنزيهاً لمنصب النبوة عن الخطأ في الإجتهااد، وقيل: قد يخطئ، ولكن بنه
عليه سريعاً لما قسم في الآيتين (مَا كَانَ يُنْهَى أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى) (البقرة: ٢٧) (قَدْ قَالَ اللَّهُ
عَنْكَ لَمْ أَلْبِثْتُ لَهُمْ) (البقرة: ١٣) " وبإشاعة هذا القول صير المصنف بالصواب .. اهـ - أي: ليلود
أن مقاله غير صواب، كما قال العلامة المطر في حاشيته على جمع الجوامع ... والله أعلم .

٣٩ - حديث: هل ترون قبلي

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال { هَلْ تَرَوْنَ قِبَلْتِي فِينَا؟ } فَوَاللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ
رُكُوعُكُمْ وَلَا سُجُودُكُمْ إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرْدِ ظَهْرِي { رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

ومسلم عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال { أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي إِنَّاكُمْ فَلَا تُشَقِّقُونِي
بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ فإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ أُنَاسِي وَمِنْ خَلْفِي { وَلِلْحَدِيثِ طَرَقٌ .

قوله: { هل ترون قبلي هاهنا } .. الخ، في رواية لأبي هريرة في الصحيح قال: صلى
بنا رسول الله ﷺ يوماً ثم انصرف فقال { يَا فَلَانُ لَا تُحْبِرْ صلاتَكَ، أَلَا يُنْظَرُ لِلصَّلَاةِ إِنَّا نَسَلِي
كَيْفَ نُصَلِّي فَإِنَّمَا يَحِلِّي لِنَفْسِي إِنَّ اللَّهَ لَا يُبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا تُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ } .

(١) بيوت في كتاب (فضائل النبي في القرآن) أن الآيتين لا تقتضيان لغة الخطأ، بنه ﷺ .. كجوامع .

وقى حديث أنس في الصحيح أنها { أتبينوا الركوع والسجود فوافقني إني لأراكم من يهدى أو من يضل إذا ركعتم وإنا نجدكم } .

قال العلماء في معنى هذه الأحاديث: { إن الله تعالى خلق له ﷺ إمرأاً خلف رأسه يبصر به من ورائه } وقد انخرقت العادة له ﷺ بأكثر من هذا وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع، بل ورد الشرع بظاهره، فوجب القول به .

ونقل القاضي عياض عن الإمام أحمد بن حنبل وجمهور العلماء: أن هذه الرؤية رؤية بالمعين حقيقة . . أم . من شرح النووي على مسلم، ولم يثبت في شيء من الأحاديث أن هذه الرؤية كانت بعينين صليتين بين كتفيه كسم الخطاط لا تحجبهما الثياب كما ذكره الزاهد بخيتار محب بن محمود، شراح النووي في رسالته الناصرية، ومثل هذا لا يقبل فيه إلا ما صح نقله، وإلا قصر في إثبات كونه معجزة، كما قال القسطلاني: حملها على الإدراك بغير آية، وأما ما أراه ابن الجوزي في بعض كتبه بغير إسناد أنه ﷺ قال { إني لا أعلم ما خلف جداري هذا } فلا أصل له كما نقل الحافظ السخاوي عن شيخه الحافظ ابن حجر .

ويؤخذ من روايات حديث الترجمة:

الأمر بإحسان الصلاة والخشوع فيها وإتمام الركوع والسجود، وجواز الحلف بالله لغير ضرورة، ولكن المستحب تركه، إلا لحاجة كتأكيده أمر ونهيه أو تمكينه من النفوس كما هنا، فإنه لما كانت الرؤية من الخلف أمراً خلقاً للعادة أكدها باليمين، وجاء في إحدى روايات أنس في الصحيح { أيها الناس إني إمامكم فلا تسبوني في الركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالتصراف عني فإني أراكم أسلمى ومن خلفي } فيؤخذ من هذه الرواية تحريم سبق الإمام بهذه الأشياء، فمن فعل ذلك آثم، وصحت صلاته عند الجمهور، ومن ابن عمر تبطل صلاته، وهو مذهب الناصرية، ورواية عن الإمام أحمد لأن النهي يقتضي الفساد .

تنبیه

روى البيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء، وروى البيهقي وابن هدى عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يرى في الظلمة كما يرى في الضوء، فهي معجزة أخرى تتعلق ببصره الشريف، وتضعف ابن دحية لهذين الحديثين لا يغير لأنهما مؤيدان بما ورد في معناهما مما هو

خلق للعامة، فقد تواتر رؤيته للملائكة والشياطين، وصح رفع يده إلى السماء حتى صار ينظر إليه وهو يلعب عنه صبيحة ليلة الإسراء، ورؤيته الجنة والنار وهو على الصلاة، إلى غير ذلك

وأخيراً فإن شفيقتنا الحافظة أبا الفتح - رحمه الله - قال: أخبرنا أبو البركات مؤيد محمد المقرئ، أنا^(١) إسحاق بن زين العابدين البرزنجي، أنا صالح بن محمد العمري، أنا محمد بن سنة، أنا الشريف الولاتي، أنا الشهاب أحمد المقرئ، أنا عيسى بن طفي تلمسان سعيد ابن أحمد المقرئ، أنا أبو عبد الله محمد بن محمد التنسي التلمساني، أنا والدي محمد بن عبد الله التنسي، أنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق الحنظلي عن أبيه عن جده الخطيب قال: أنا أبو المجد أحمد بن أبي عبد الله محمد بن القاسم أبي الفضل هياض بن موسى بن هياض النحاصي قال: أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن أحمد العدل من كتابه حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني حدثنا أم القاسم بنت أبي بكر عن أبيها حدثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحماني حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن بن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال { لما تجلى الله ﷻ لموسى ﷺ كان يبصر النملة على الصلابة في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ } .

قال القاسم هياض: ولا يبعد علي هذا أن يختصم نهينا ﷻ بما ذكرناه من هذا الشهاب - يعني رؤيته في الظلمات وغير ذلك - بعد الإسراء والخطوة بما رأى من آيات ربه الكبرى .. أم . وهذا الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الصغير .

٤٠ - حديث: إنا نسمع أحاديث من يهود

عن جابر قال: أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود نعجبنا أنتري أن نكتب بعضها؟ فقال { أَلَمْ تَهْوَكُونِ أَنْتُمْ كَذَلِكَ تَهْوَكُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِهَا بَيِّنَاتٍ بَيِّنَةٌ وَلَوْ كَانَ مُوسَى خَتَاً مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْبَأِي }^(٢) .

(١) أنا مختصرة من أخبرنا، ولنا لو نا مختصرة من حدثنا، فلملم ذلك .
(٢) رواه أحمد بإسناد حسن وابن حبان بإسناد صحيح، ورواه أحمد عن ابن عباس بإسناد حسن أيضاً .
وله مع هذا طرق .

قوله: { أمتهوكون انتم } أى: متحبرون، كما قال الحسن، والنهوك: التحيز

قوله: { كما نهوكم اليهود والنصارى } وذلك لأن كتبهم دخلها التحريف بالزيادة والنقصان، فمتحبروا فى دينهم واختلفوا فيه، ولكن مهنا محفوظ كما قال تعالى { إِنَّا نَحْنُ نُحَرِّفُ الْكَلِمَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (الدحر: ١٩) ولفظ الذكر فى الآية الشريفة يشمل القرآن والحديث، كما بينه الحافظ المجتهد أبو محمد ابن حزم فى كتاب الأحكام.

قوله: { لقد جعلتكم بها } أى: الآية الشريفة { بيضاء نقية } كنى بهاها وتقاها عن يسرها وسماحة تعاملها وما اشتملت عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الأدب

قوله: { ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا أتياى } لأن الله تعالى أخذ عليه وعلى جميع الأنبياء عهداً أن يؤمنوا به وينصروه، قال تعالى { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ لَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِمَّنْ لَمَّا تَضَعُوا الْقُرْآنَ بِهِ وَاكْفَرْتُمْ } (سورن: ٨١) فهو ذلك نهي الأنبياء وخاتمهم.

والقاديانية - لعنهم الله - يروون هنا بلفظ { ولو كان موسى وخمسى حين ما وسعها } لا أتياى [ليستدلوا على إن عيسى مات. وأنه لا ينزل، والحديث بهذا اللفظ باطل لا أصل له. بل هو من جملة أكاذيبهم الكثيرة - ألزامهم الله -

ولنظموى فى التفسير وأبى داود فى المراسيل من طريق يحيى ابن حميدة: أن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ يكتف قد كتبوا فيها ببعض ما تقول اليهود. فلما نهر إليهم ألقاها وقال { كلنى بها حاملة قوم أو حلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به شهر نبيهم } فنزلت { أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُقَالُ غَلَبْتُمْ } (الاحكام: ٥٥).

والحديث يقتضى التمسى عن الأخذ من كتب الإسرائيلية، وذلك لما يتعلق بالأموار الدينية من أصول وفروع، لما ما يتعلق بالمواعظ والآداب وأخبار الأنبياء فلا بأس بذلك، ما لم يخالف ما ثبت بدليل صحيح، وقد كان جماعة من الصحابة يحنثون عن أهل الكتاب كعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس وأبى هريرة^(١) وكان عمر يقول لكعب الأحمال:

(١) بل لعل إبراهيم بن أبي يحيى: أنا معاذ بن عبد الرحمن عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه: أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني قرأت القرآن واختلفت، فقال ﷺ { أقرئه هذا ليلة وهذا ليلة } قال الاصحى فى تذكرة الحفاظ: هذا أن صح عليه الرحمة فى تكرير التوراة وتبويبها .. أقيد. قلت: إبراهيم ابن أبي يحيى ضعيف جداً، كذبه جماعة من الحفاظ وكان معتزلاً جديداً شديداً، وقد أطلق مذهبه فى ترجمته فى اليزان، وهو مع ضلعه حافظ كبير. وله مواعظ كثيرة من مواعظ مالك بكثير.

حرفنا يا كعب، وكذلك كان عبد الله بن الزبير يسمع من كعب أيضاً ويحدث عنه أما تحديث التابعين عن فعل الكتاب فكثير، وحصل بين الحافظ السخاوي والبرهان البقاعي نزاع في جواز النقل من كتب الأناجيل ونحوها، وألف كل منهما في ذلك بحسب رأيه، وأشار السخاوي إلى شيء من ذلك في كتاب [الإعلام بالتواريخ لمن ذم التواريخ] وهو مطبوع .. والله أعلم .

٤١ - حديث: ليهيطن ابن مريم

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ { ليهيطن ابن مريم حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً وليسلكن فجاً حاكماً أو معتماً وليأتين قيرى حتى يسلم على ولأرسلن عليه } يقول أبو هريرة: أى بنى أخى إن رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام^(١).

قوله: { ليهيطن ابن مريم } أى: من السماء على منارة بهاء ترقى مشق بين ملكين، فهلك حصار الدجال من فلسطين ويحتله، ويلقى الله الرعب في قلوب اليهود من المسلمين فيقتلونهم، ويكون عيسى إذا ذاك حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً يحكم بالشرعة الإسلامية ويحصى ما أفسد منها، ويقاتل اليهود والنصارى على الإسلام ولا يقبل الجزية، ويكون حكمه بالكتاب والسنة، ولا يقلد أحداً من المذاهب خلافاً لما زعم بعض متبوس الحنفية: أنه يكون على منبههم، بل للمذهب في وقته تبطل .

قوله: { وليسلكن فجاً } - بفتح الفاء - طريقاً واسماً أو اسم موضع في طريق مكة حاجاً أو معتماً، وليأتين قيرى حتى يسلم على تحقيقاً لتبعيته لى، وإتباعه لشرعنى، ولأرسلن عليه السلام. واللام في { ليهيطن وليسلكن وليأتين ولأرسلن } تدل على قسم مقدر، أى: والله ليهيطن، والله لسلكن، والله ليأتين، والله لأرسلن. فهذه الأفعال مؤكدة بشيئين التقسم في أولها، ونون التوكيد المشددة في آخرها، وذلك غاية ما يطلب في التوكيد كما لا يخفى، ويؤخذ من الحديث أمور:

الأول: لفظة النبي ﷺ تكون عيسى ﷺ وهو رسول كريم من أولى العزم، ينزل تابهاً

حد وقد روى عنه الشافعي ورواه، وقال الربيع: إنا قال الشافعي: حديثي من لا أتهم، أراد إبراهيم بن أبي يحيى .

(١) وذكر فيه أنه ألق كتاباً لسماء [الأصل لأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل] لكن لم يخر إلى ما حصل بينه وبين البقاعي .

(٢) رواه الحاكم وصححه، وأسلمه المنعني .

له، وملتزمًا لتشريعته، قال العلماء: والحكمة في تخصيص نزوله: الرد على اليهود حيث ذهبوا أنهم قتلوه وصليبه، وكذبوا في زعمهم ذلك.

الثاني: إثبات نزول عيسى عليه السلام، وهذا أمر تواترت به الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله، كما نص عليه الحفاظ منهم: ابن جرير الطبري، وأبو الحسن الأثيري، والقرطبي، وابن كثير، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم^١، وجعل الشيخ محمد عبده هذا لكونه لا يعرف السنة. فلما لم يأت حديث نزول عيسى عليه السلام وأثبته بناء على ذلك حسبا نقله عنه تلميذه في تفسيره المطار، وقلده ميتعة الأزهر ومن على شاكلتهم مثل: الزاوي وشقوت وعبد الوهاب النجار. وقد ألفت كتاباً أسماه [إقامة البرهان على نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان] ففحصت به جعل شلتوت في فتوى له نشرها بمجلة الرسالة، وألف فيها القاديانيين الكفار، فلما رآه ولج في المناد أردفته بكتاب آخر أسماه [إرشاد المبتدع الجهول بإتباع سنة الرسول]

الثالث: استحباب إتيان قبر النبي صلى الله عليه وآله لزيارته والسلام عليه، وهذا ما لا خلاف فيه، قال القاضي عياض، وزهارة قبرة عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها ومرغوب فيها. أھـ. بل ذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أنها واجبة كما حكاه الشوكاني في نيل

(١) وبيان ذلك: أنه رواه عن النبي صلى الله عليه وآله أبو هريرة، وحذيفة بن أسيد، والناس بن سمان، وعبد الله بن عمرو، وجنبر، ومجمع بن جارية، وهشام بن أبي العاصم، وبائلة بن الأسقع، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وهائلة، وأنس، وغيرهم من الصحابة، ورواه عن هؤلاء نحو ثلاثين تابعياً منهم: حماد بن المنبج، وسعيد بن ميناء، وعطاء بن ميثاق، وجبير بن نفير، وعقوب بن عامر، وأبو الزبير، وأبو نفرة، ومؤثر بن عازرة، وربي بن حراش، والحسن البصري، وطائوس، وعلفسة، وأبو قلاب، وأبو صالح، ورواه عن هؤلاء نحو ثلاثين أياً منهم: الزهري، وقطادة، والمقبري، وهشام ابن عمرو، وسليم بن حسان، وهرات الفزازي، وعلى بن زيد، وابن جريج، وأبو حازم الأشجعي، وأبيوب السخيتاني، وسعيد بن خثيم، ورواه عن هؤلاء نحو خمسة وثلاثون شخصاً منهم: سليمان بن عبد الله، وظالم بن أسلم، وأبو موسى، والأوزاعي، وإمام أهل الشام، وأبو داود الطيالسي صاحب السنن، وقسبة أسير المؤمنين في الحديث، وممر صاحب الجامع، وحنان بن جابر الطائي قاضي حمص، وضامم نحد أشعة القراء، وأبو جعفر النعمان أمير المؤمنين، ورواه عن هؤلاء خلق كثير يلبون نحو أربعين شخصاً منهم: عبد الرزاق صاحب المصنف، وعلي بن النعمان لإمام العلم شيخ البخاري، وقتيبة بن سعيد، وروح، ويحيى بن عمار، وبشر بن معاذ، ومعاذ العتيري، وشاذان، وحجاج بن الشاعر، وحؤلاء كلهم أشعة مشاهير، ثم رواه عن هؤلاء وغيرهم أصحاب الكتب الثمينة في الحديث، ويونس في كتبهم مثل: أحمد والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي، والطحاوي، والطبراني، وغيرهم ممن لا يكادون يهملون، فهذا تواتر على جميع الاصطلاحات الثمرة في علم الأصول، ولكن أتى لمحمد عبده ومقلديه أن يبرقوا هذا وهم أبعد الناس من علم السنة وأقواها، ولينهم إذا جهلوا سكتوا فقد كان السكوت أستر لحالهم، ولكن قاتل الله حب الظهور، فإنه قاصم للظهور، كما قال الصوفية.

الأوطار، والذي صرح بالوجوب من المالكية أبو عمران الغاسي .

قال الحافظ عبد الحق الأشجيلي المالكي في كتاب [تهذيب الطالب] يزيد أنها واجبة وجوب السن المؤكدة .. أم .

وقالت الحنفية : أنها قريبة من الواجبات حكاه الشوكلي أيضاً وحكى ابن هبيرة اتفاق الأئمة على استحبابها وقد بطل المأخذ المأخذ من الشك إلى المصلحة بقصد الزيارة كما رواه ابن عساكر بإسناد جيد وإن حاول ابن عبد الهادي تضعيفه نسباً لرأى ابن تيمية الذي خالف الإجماع بإكتباره مشروعية الزيارة الشرعية، وزعم أن السفر إليها بمعصية، لا تقتصر فيه الصلاة، ورد عليه العلماء قوله هذا وبهذه، وأورد القلي السبكي في الرد عليه كتاباً خاصاً سماه [شفاء السقام بزيارة خير الأنام] وهو مطبوع، وليس لأبن تيمية حجة فيما زعم إلا حديث الصحيحين { لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد } ولكن القصد في الحديث إغاضي باهتزاز المساجد لا حقيقته، بدليل ما ثبت بإسناد حسن، كما قال الحافظ { لا ينبغي للمسلم أن تشد رحاله إلى مسجد يتلقى فيه الصلاة غير مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى }^(١) فالزيارة وغيرها خارجة عن النهي كما ترى والأحاديث تفسر بعضها بعضاً والتجمع بينها واجب، وإلغاء أحدها بغير دليل حرام كما تبيننا عليه فيما مر، وانظر الشفاء للغاسي عياض وشروحه، والمواهب اللدنية، وفضل الأوطار للشوكاني وغيرها .

تنبيه : قال العلامة قلبه أنه حاضر بين يديه، مستثنى به إلى من مَنَّ به عليه .. أم . وهذه ابن الحاج في المدخل : من لم يقدر له زيارته فكأن بهجسه فليدونها كل وقت

(١) رواه الإمام أحمد في المسند عن مشهور بن حوشب، قال : سمعت أبا سعيد الخدري - وذكر عنده صلاة في الطور - فقال : قال رسول الله ﷺ { لا يلحق للمسلم } الخ . وحسنه الحافظ الهيثمي أيضاً في كتاب [مجمع الزوائد] وهو كما ترى صريح في أن النهي عن شد الرحال للمساجد لأجل الصلاة لا لغيره، لأن المساجد مشقة لا لفضل فيها لمسجد على آخر، إلا المساجد الثلاثة . ويؤيد ما رواه أحمد أيضاً بإسناد رجاله ثقات كما قال الحافظ الهيثمي عن حماد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : قال أبو بصرة الخفاري أبا هريرة وهو أت من الطور فتكلم من أين ألبت؟ قال : من الطور حيث فيه، قال : لو أبركتك قبل أن ترحل ما رحلت إني سمعت رسول الله ﷺ يقول { لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى } يروي الطبراني عن الأرقم - وكان يجرها - قال : جئت رسول الله ﷺ لأودعه . وأودعت الخروج إلى بيت المقدس، فقال لي { أين تريد؟ } قلت : أريد بيت المقدس، قال { وما يخرجك إليه؟ } أفي تجرة؟ } قلت : لا ولكني أخصي فيه، فقال رسول الله ﷺ { صلاة عامتها - يعني في مكة - خير من ألف صلاة ثم } قال الحافظ الهيثمي : رجاله ثقات، ورواه أحمد أيضاً بإسناد فيه يحيى بن عمران، قال أبو حاتم : مجهول، وثقة ابن حبان، وهذا حديث يهمل أن يسلط يروى لغير الصلاة كالزيارة لغير محظور .

ولان سعد وأحمد وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة قال: { مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ الشَّمْسُ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ وَمَا رَأَيْتُ أَحداً أَسْرَعَ فِي مَخْطِهِ مِنْهُ كَانَ الْأَرْضُ تُطَوِّي نَهْ إِيَّاهُ لَتُجَهِّدَ وَإِنَّهُ هُمَزٌ مُكْتَرَبٌ } .

قوله: { كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ } أى: خلقاً - بفتح الخاء - وخلقاً - بهمها - وفى حديث البراء فى صحيح البخارى: { إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا - أى: بفتح الخاء - وقيل: بهمها -

قوله: { كَانَ رُبْعَةٌ } تتقوت الروايات على ذلك فى الصحيحين وغيرهما، والرُبْعَةُ - بفتح الواو وسكور الموحدة - الوسط بين الطول والقصر. وكذلك جاء مفسراً فى حديث أنس والبراء وغيرهما .

قوله: { وَهُوَ إِلَى الطَّوْلِ أَقْرَبُ } أى: يقرب من الطول قليلاً، ولكن ليس بالطويل الملائن كما صلبانى .

قوله: { يَمِيدُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ } أى: عريض أعلى الظهر، زاد فى حديث أبي هريرة أيضاً عند أبي سعد: رجب الصدر، أى: واسعة .

قوله: { أَسْفَلَ الْخَدَيْنِ } بفتح الهمزة وكسر السين أى لين الخدين مع طول فبهما .
قوله: { أَحَدَبُ } أى: طويل الأشقر .

قوله: { إِذَا وَطِئَ بِقَدَمِهِ وَطِئَ بِكُلِّهَا لَيْسَ لَهُ أَحْمَصُ } الأحمص: ما خلل من باطن القدم، فلم يصيب الأرض. والمعنى: أن فى قدمه الشريفة طمعى يسيراً، بحيث لم يرتفع عن الأرض جداً، ولم يستو أسفل القدم، وهذا أحسن ما يكون كما قال ابن الأثير: وبهذا يجمع بين روايات من أثبت الأحمص ومن نكاهها، فمن أثبت أراد الخصومة الهسرة المعتدلة، ومن نكاه أراد الخصومة الشديدة .

قوله: { إِنْ أَوَّحَ رِدَائِهِ عَنْ مَنَكِبِهِ فَكَانَ سَبِيكَةً شُفَا } وفى حديث محوش الكميتى قال: احسن النبي ﷺ من الجمرة لئلا تنقرت إلى ظهره كأنه سبيكة لفة، رواه أحمد والبيهقي، وفى حديث أبي هريرة عند الترمذى والبيهقي: كان رسول الله ﷺ أبهى، كأنما صبغ من ففة ومعنى هذه الروايات ظاهر .

قوله: { وَإِذَا ضَحِكَ يَتَلَاوُءُ فِي الْجَدْرِ } أى: يظهر من أثر ضحكه إشراق ينعكس على الحيطان، كما ينعكس نور الشمس فى المرآة، ومن هذا الحديث أخذ شقيقنا الحافظ

أبو الفتح - رحمه الله - اسم كتابه [بولق الأنوار المنيرة بظهور النواجذ الشريفة] جمع فيه الأحاديث التي ورد فيها أنه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، وهو مطبوع^(١).

وفي صحيح البخاري عن كعب بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا سر استشار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، وفيه أيضاً عن عائشة: أن رسول الله ﷺ دخل عليها مسجوراً تهرق أسارير وجهه، ورفع في حديث جبير بن مطعم عند الطبراني: الطقت إلهما النبي ﷺ بوجهه مثل ثقة القمر.

قوله: لم أر قبله ولا بعده مثله، إذا ليس في الناس من يعالقه ﷺ، فهو كما قال الإمام البرصري:

منزه عن شريك في محاسنه فجوه الحسن فيه غير منقسم
وقال آخر:

وأجمل منك لم ترقط عيني وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرماً من كل عيب كأنك خلقتك كما تشاء

قوله: رواء البزار والبيهقي، ورواه أيضاً الذهلي في الزهرينات، يعقوب بن سليمان النسوي في تاريخه وفيهما، وإسناد الحديث حسن .. والله أعلم.

قوله: في الرواية الثانية: كأن الشمس تجري في وجهه، قال الطبري: شبه جريان الشمس في ظلكها بجريان الحسن في وجهه ﷺ، وفيه عكس التشبيه للمبالغة. قال: ويحتمل أن يكون من باب تناهي التشبيه، جعل وجهه مقراً ومكاناً للشمس، وفي تاريخ يعقوب بن سليمان من طريق يونس بن أبي يعفور عن أبي إسحاق السبيعي عن امرأة من صمدان قالت: حججت مع رسول الله ﷺ، فظلت لها شبهه، قالت: كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله.

وروى الترمذي والطبراني وأبو نعيم عن أبي عبيدة، قال: قلت للربيع - بضم الراء وكسر الياء المشددة - بنت مَعُود - بضم الميم وكسر الواو المشددة -: صف لي رسول الله ﷺ؟ قالت: لو رأيته لرأيت الشمس طالعة، وسئل البراء ابن عازب: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا .. بل مثل القمر، رواه البخاري. وفي صحيح مسلم عن جابر بن

(١) ضمن كتاب الاستعانة والعميلة - الناشر مكتبة القاهرة.

سورة: أن رجلاً قال له: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ - أي في الطول واللمعان - قال: لا .. بل مثل الشمس والقمر مستديراً . ولا تتنافى بين هذا وبين الرواية السابقة: أسهل الخدين، لأن الرء بها طول خفيف لا يمنع الاستدارة .

قوله: { كان الأرض تطوى له } الخ، هذا يبين لسرعة مشيته، ولابن سعد عن أبي هريرة قال: كنت مع رسول الله ﷺ في جنازة فكنيت إذا مشيت سبقتي، فالتفت إلى رجل من جنبي فقلت: تطوى له الأرض، وطليل الله إبراهيم، وسرعة المشي تدل على شدة الحزم وقوة المزمة، بخلاف المشي الضعيف فإنه يدل على التخاذل وخطور المزمة .
وقولهم: سرعة المشي تنهب بها بهاء الرء، ليس بحديث .. والله أعلم .



٤٣ - حديث: وصف رسول الله ﷺ

عن عمر بن عبد الله مولى هفيرة قال: حدثني إبراهيم بن محمد عن ولد علي بن أبي طالب قال: كان علي عليه السلام إذا وصف رسول الله ﷺ قال: ((لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل المنقط ولا بالقصير المتروك، وكان ريمة من القوم، لم يكن بالجمد القطط ولا بالسيط كن جمداً رجلاً ولم يكن بالمطهم: ولا بالكثلم، وكان في وجهه تدوير، أبيض مشرب أدعج العيين، أهدب الأشعار، جليل النشاش والكبد، أجرد ذو مسربة، ششن الكفين والقدمين، إذا مشى تلقع، كأنما ينحط في عيب، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين، أجود الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم منية، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه فمرقه أحبه، يقول شاعته: لم أر قبله ولا بعده مثله)) .
رواه الترمذى في السنن والشمالى وغيره .. والله أعلم .

قوله: (هفيرة) بهم القين المعجمه وسكون الفاء . ويقال هفيرة بالضمير وهي بنت رباح وأخت بلال المؤذن، وأخيه خالد: قال البخارى: هم أخوان وأخت ومولاهما عمر بن عبد الله مدنى بكنى: أنها حفص، روى له أبو داود والترمذى، وفيه ضعف، وشيخه إبراهيم بن محمد بن الحنفية ثقة عن رجال الترمذى وابن ماجه، ولكن روايته عن جده علي عليه السلام مرسله فيما ذكر أبو زرعة الرازى، وهذا لا يضر هنا، لأن وصف علي للنبي ﷺ تلقاه الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية عن أبيهم عليهم السلام، ولقنوه لأولادهم وأهل بيتهم فهو من أقوى الموصولات، كما لا يخفى على أن معناه وارد في عدة أحاديث .

قوله: (المُنْبُط) يضم الميم الأول وفتح الميم الثانية المشددة وكسر القين الخفيفة - اسم فاعل هو المتناهي الطول، فهو بمعنى البائن في الرواية الأخرى، وهو الذي غارق غيره في الطول وظهر علمه، وقيل المنبُط - بفتح الميم الثانية وتخفيفها وتشديد القين المجمة المفتوحة - اسم مفعول من التنبط، وأصله من قطع الحبل إذا حده، والقصود: أنه لم يكن بالطويل البائن الطول ولا بالقصير المتردد - يكرر الدال الأولى المشددة - أي: المتناهي في القصر، كلن زد بمعنى خلقه على بعض وتماثلت أجزاءه، قاله ابن الأثير، وكلن أربعة من القوم تنقسم شريحه .

وزوى ابن أبي خيثمة والبيهقي عن عائشة قالت: (لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، وكان ينسب إلى الريمة إذا مشى وحده، ولم يكن على حال بما شبه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ، ولربما اكتنفته الرجلان الطويلان فيطولهما، فإذا قارفاً نساها إلى الطول، ونسب رسول الله ﷺ إلى الريمة) .

قوله: (لم يكن بالجعد التقط) بفتح انطاف وكسر الطاء الأولى، وقد تفتح ولا بالسبط بفتح أوله وكسر الموحدة، والجمودة في الشعر إلا يتكسر ولا يمتوّل، والتقط شدة الجمودة، والسهولة في الشعر ضد الجمودة، وهو الامتداد الذي ليس فيه تعقد ولا تنوء .

والمراد: أن شعره ﷺ وسط بين الجمودة والسهولة، ولهذا قال: كان جعداً رجلاً - بفتح الراء وكسر الجيم، وقد شكك وثقّق، بمعنى ليس شديد الجمودة ولا سبطاً فهو وسط بينهما، ولم يكن بالمطعم - بفتح الهاء المشددة - هو الهادن الكثير اللحم استفتح الوجه من السمن، ولا بالكلثم - يضم الميم الأولى وفتح الكاف والثاء المثلثة بينهما لام ساكنة - أي: الدور الوجه، ولذا قال: وكان في وجهه تدوير، فهذه الجملة بيان لقوله ولا بالكلثم - والمعنى: أن وجهه الشريف كان وسطاً بين التدوير والإسالة - ويعبر عن ذلك بالسهولة، وهذا أحسن عند العرب وأعلى .

قوله: (أبيهش) بالرفع خبر مبتدأ محذوف - أي: هو أبيهش مشرب - يضم الميم وسكون الشين وفتح الراء المخففة أو بفتح الشين وتشديد الراء المفتوحة - رواهان معناهما واحد، أي: مخلوط بحمرة، كما جاء في حديث علي أيضاً عند سعيد بن منصور والطائسي والحاكم، قال: كان النبي ﷺ أبيهش مشرباً بهافه بحمرة .

وفي حديث أنس عند البخاري: أزهو اللون ليس بأبيهش أصهب، أي: شديد البياض، لأنه مذموم عند العرب، فمن أثبت البياض للنبي ﷺ أراد به المشرب بالحمرة،

وهو اللون الأزهر المدوح، وربما سموه أسمر كما قال أنس: كان النبي ﷺ أسمر، رواه أحمد والبخاري وابن منده بإسناد صحيح وصححه ابن حبان، ومن تقي البيضاء أراد البيضاء الشديد الذي يسمى مهقاً وصاحبه أميق، وهو مذموم وبهذا تطلق الروايات .

قوله: (أدمج المبتين) أي: شديد سواد الحذقة مع سعة العين، كما في الصحاح
قوله: (أهدب الأشقر) جمع شقر - يهضم الخمين، وقد تفتح - وهي حروف الأجلان
التي منبت عليها الشعر والأهدب - بالفتح المهملة - من طال شعر أجفانه - والمعنى ظاهر،
وروى ابن سعد والحرث ابن أبي أسامة عن ابن عباس وغيره: أن الصبيان كانوا يحبسون
شعثاً ربما ويصبح رسول الله ﷺ - وهو صبي - دعيماً كحيدلاً .

قوله: (جليل) أي: عظيم الشأن - يهضم الميم وتطخيف الشين المعجمة - رؤوس
العظام كالمرقطين والركبتين، والكتد - يفتح الكاف والتاء - وقد تكسر - مجتمع الكتفين،
والمعنى: أنه عظيم رؤوس العظام، عظم مجتمع الكتفين، وذلك يدل على القوة والشجاع

قوله: (أجرد) أي: غير أسمر، أي: لم يكن على جمعه شعر كثير، فهو نومة -
يفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء - وهو شعر دقيق بين الصر والسرعة، وفي رواية
اليحيى: له شعرات من سوته تجرى كالفضيب ليس على صدره ولا بطنه غيرها - وروى
الطبراني والطبراني عن أم هانئ: ما رقيت رسول الله ﷺ إلا ذكرت القواطس المثنى بعضها على
بعض، شئز - يفتح الشين المعجمة وسكون التاء المثناة، وقد يقال شئن - بالتاء المثناة - معنى:
قليل الكفين والقسمين، من غير قصر ولا خشونة، لما ورد أنه كان سائل الأطراف لين الكف .

قال المناوي: ولما أسر الأصمى الشئن في الحديث باللفظ مع الخشونة، أورد عليه:
أنه ورد في صفته أنه لين الكف، فحلف ألا يفسر شيئاً في الحديث .. أه - وتفسير
الحديث لا يكفى فيه معرفة اللغة، بل لابد من جمع الطرق والروايات وغير ذلك مما هو
مبسوط في موضعه .

قوله: (إذا مشى تفتح) معنى مشى بقوة، ورفع برجله رهاً بائناً مشاركاً إحداهما
بالأخرى كأنه يمشى مشى الفلعة بالتحريك، وهي القطعة المشيمة من السحاب .

قوله: (كأنما يتخط في شئب) يهمل لقوله تفتح، والعشيب - يفتح الصاد والباء الأولى -
الحدود، ضد الصمود والمعنى ظاهر .

قوله: (وإذا التفت التفت معاً) أي: جميعاً، أي: إذا التفت إلى إنسان لكلام أو غيره

الثلث إليه بكنه، وأقبل عليه بكنيته، ولا يلتفت إليه بلى لئلا كفعل الخطالين المتكبرين .

قوله: (بين كتفيه خاتم النبوة) بكسر التاء، أشهر وأصح من فتحها - والمراد به أثر بين كتفيه، نعت به في الكتب السابقة، وكان علامة عندهم على أنه النبي الموعود، حتى لا يشبهوها في أسرها، واختلقت الروايات في وصف هذا الخاتم لعمراً وشكلاً ولوناً، واستوعبها الحافظ قطب الدين الحلبي في شرح السيرة وتبعه العلامة مغلاطى في [الزهر الباسم] ونحن نشير إليها بحول الله. ففي الصحيحين عن السائب بن يزيد قال: ((كنت خلف ظهر النبي ﷺ فنظرت إل خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة)) .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: ((رأيت خاتم النبوة بين كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده)) .

وفي رواية الترمذى: ((قعدة حمراء مثل بيضة الحمامة))، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن سرجس قال: ((نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نفخ نكته اليسرى جمعا عليه خيلان كأمثال التآكل)) النكس - يضم النون وسكون الفين المعجمه - فرع الكتف، والجمع - يضم الهم وسكون الميم - الكف إذا جمع، والخيلان: الثلمات السود، والتآكل: حيوب نعلو ظهر الجسد .

ولأحمد والبيهقي عن أبي رزمة قال: ((تنظلت مع أبي إلى النبي ﷺ فنظرت إل مثل السلمة بين كتفيه)) وفي رواية لأبي سعيد ((مثل التفاحة)) والبخاري في التاريخ عن أبي سعيد قال: ((ألهم الذي بين كتفي النبي ﷺ لحم نكته)) وفي رواية الترمذى ((كان في ظهره بيضة نائسة)) وفي رواية أحمد: ((لحم نائس بين كتفيه))، وفي حديث ابن عمر عند ابن مهزيب: ((مثل البندقة من اللحم))، وفي حديث أبي زيد بن أخطب عند الطبراني: ((محجمة نائنة)) .

قال العلماء: اختلفت أقوال الرواة في خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف حقيقة، بل كل واحد شبه بما عرفه له، قال القرطبي في شرح مسلم: اتفقت الأحاديث الثلاثة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بلزماً أحمر عند كتفه الأيسر، فمرة إذا اقل قعر بيض الحمامة، وإذا أكبر جمع اليد، قال البيهقي: والصحيح أنه كان عند نفخ كتفه الأيسر، لأن معصوم بن وسوة الشيطان، وذلك الموضع منه دخوله .. أم .

وقد روى ابن عبد البر بسند قوى كما قال الحافظ عن ميمون بن مهران عن عمر بن عبد المنيز: أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان فرأى الشيطان في صورة طغد عند نفخ كتفه الأيسر هذا قلبه له خرطوم كالبعوضة، وله شاهد مرفوع من حديث أنس { أن

الشيطان واتسع خطمه على قلب ابن آدم { الحديث، رواه أبو يعلى وقبره، والصحيح أن الخاتم كان عند شق صدره الشريف، كما قال عياض: ولم يولد به من قبل .. واقه أعلم .

قوله: (وهو خاتم النعمين جملة) مقصود لما قبلها، فهو خاتم نبوة الأنبياء لا نبى بعده، قال الثاوى وابن سلطان وغيرهما من شراح الشرائع: لا ينال هذا نزول هيسى ^{الظلال} لأنه إنما ينزل متابعا لشريعته مستمداً من القرآن والسنة .. أم .

قوله: (أجود الناس صدراً) أى: أرحبهم صدراً وأكرمهم قلباً فلا يمل من الناس، ولا يضجر منهم، على اختلاف طبيعتهم وأمزجتهم، بل يخاطب كلا منهم على قدر منزلته، ويهذل لهم ما يسألونه من رفد وعطاء، ويعلمهم ما علمه الله مبتدئاً نارة ومجيباً نارة أخرى، وتقدم شئ من جوده وسعة صدره فى شرح الحديث الثلاثين .

قوله: (وأصدق الناس لهجة) عرف بهذا منذ طفولته، حتى كان يدهى بين قومه بالأمن، فهو ^{كأن} أصدق الناس لساناً وأفصحهم بياناً .

قوله: (وألينهم عريكة) أى: أسهلهم طبيعة لوفور حاله وكثرة تواضعه، وخلق جناحه للفقير والسكين، وفط شقيقته على اليتيم والمحروم .

قوله: (وأكرمهم عشرة) يكسر العن وسكون الشين، اسم من العاشرة وهى المصاحبة لمصاحبه ^{كأن} أكرم مصاحبة، لأنه أشد الناس وفاء، وأكثرهم عن الزلات اغطاء، يرمى حقوق المعاشرة، ويرامى روابط اللوة يكون مع أصحابه كأحدهم، لا يتميز عنهم بشئ، ولا يشق عليهم فى شئ، وفى رواية (وأكرمهم عشرة) أى: لهيلة، وهى صحبة ألباً، فإن قبلته أكرم القائل، ونسبه أشرف الأنساب، كما تقدم فى شرح الحديث الرابع والسابع .

قوله: (من رآه) رؤية بديهية فجأة من غير سابق مخالطة ومعرفة، غاية لما عليه من المهابة الإلهية، لأن قلبه الشريف معننى بمظلة مولاه ومحبته واجلاله وذلك بورث المهابة المذكورة، ومن خالطه وعاشره لعرفه، أى: عرف أخلاقه العظيمة، أحبه حباً شديداً حتى يقدمه على أهله ونفسه، ويهذل كل شئ فى سبيل طاعته ورضاه، كما كان الصحابة يفعلون فبأنهم كانوا يقولون أنفسهم موتة^(١) ويموتون - بل يقتلون - أباحم وأبناهم

(١) وهذا واجب على كل مسلم ينص للقرآن، قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُمْ لَا يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ وَلَا يَرْتَدُّوا عَنْهُمْ وَهُمْ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الحزاب: ١٠) وقال سبحانه ﴿مَنْ كَانَ يَأْمُرُ بِالْعِصْيَانِ وَالْمُنْكَارِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنِ نُسَبِهِ﴾ (التوبة: ١٢٠) .

وعشيرتهم، بفاعاً عنه، وحفظاً لحرمة، فمدحهم الله على ذلك ووصلهم بالإيمان .

يقول: ثابته: أي: وصله إذا أراد الإجمال في نعته، لأن التفصيل غير متيسر لم أر قبلك ولا بعده مثله، لأنه جمع بين حسن الجمال، ووقار الجلال، وبلغ الغاية في خصال الكمال، فهو كما قال البوصيري رحمه الله:

منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم^(١).

قال الحافظ أبو نعيم: ولد اختلفت ألفاظ الصحابة في نعتة وصفاته، وذلك لما ركب في الصدور من جلالاته وجلالاته وعظم مهابته وطلواته، ولما جمل في جسده الشريف من النور الذي يتلألأ ويغلب على بشرته، فأصابعهم ضبط صفته، ونعت حليته حتى قال بعضهم: كان مثل الشمس طالعة، وقال بعضهم: كان يتلألأ تلألؤ القمر ليلة البدر، وقال بعضهم: لم أر قبلك ولا بعده مثله، فلذلك السبب كان اختلافهم في وصف خلقته بعد.

وال هنا ثم هذا الشرح المبارك إن شاء الله تعالى، وقد رأينا أن نختمه بحديث جامع في صفاته وشماله ﷺ فنقول:

أنهنا سعد بن أحمد الفراء الدمشقي، أنا علاء الدين بن محمد بن عمر الحسيني، أنا أبي أنا محمد بن عبد الرحمن الكزبري، أنا أبي أنا أبو المواهب الحنظلي أنا أبي أنا الشمس محمد بن عبد الله الأنصاري، أنا محمد بن خلل الشيكلي أنا أبو الفضل الحافظ. أنا أبو اسحق التنوخي: أنا محمد بن جابر بن محمد المولد آشي. أخبرنا أبو المواهب ربيع ابن أبي هاجر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع أنا الحسن بن علي الفافقي (ج) وقال التنوخي: أنا يحيى بن محمد بن سعد كتابة، أنا أبو جعفر أحمد بن علي بن حكم (ج) وأنهنا محمد بن إبراهيم السلفي أنا أبي أنا ثعلب أنا الشهاب الملو. أنا عبد الله بن سالم الهجري، أنا محمد الباهلي، أنا سالم بن محمد، أنا النجم القحطبي أنا القاضي زكريا الأنصاري، أنا الشمس محمد بن علي الفافقي. أنا السراج عمر بن علي بن الملقن الأنصاري، أخبرنا أبو الفتح يوسف بن محمد الدلاسي، أنا القاضي أبو الحسن يحيى بن أحمد بن محمد بن تميم التواتي. أنا أبو الحسن يحيى ابن محمد بن علي الأنصاري المعروف بابن الصائغ، قال هو والفافقي وأبو جعفر ابن حكم: أخبرنا مهدي بن موسى الحافظ قال: حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن

محمد الحافظ بقراحتي عليه ، حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي فيما قرأت عليه : أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد ابن عبد الله ابن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الحسن المحمدي والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا : حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي - أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشامي - أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال : حدثنا سفیان بن وكيع ، ثنا جهم - ياتصلهم - بن عمر بن عبد الرحمن السجلي أصلاً من كتابة ، قال : حدثني رجل من بني كهم ، عن ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها يكنى أبا عبد الله عن أبي لبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : سألت خالاً حنفياً ابن أبي هالة (ج) قال القاضي أبو علي : قرأت على النسخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد ابن طائفة الكرجي البغلاتي ، وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون ، قال : حدثنا أبو علي الحسن بن إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراة عليه طائفة : أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي ، قال حدثنا إسماعيل ابن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قال : حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين ، قال : الحسن بن علي - واللفظ لهذا السند - : سألت خالاً حنفياً بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان صالحاً وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئاً أتلق به قال : ((كان رسول الله ﷺ طعماً مقطوعاً ، بتلاتاً وجهه تلاتة القسرة البهرة ، أطول من المربع ، وأقصر من المثلث ، عظم الهامة ، وجل الشعر ، وإن اتلقت حقيقته فرق ، ولا فلا ، يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفرد ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج الحواجب سوابغ من شهر قرن ، بينهما عرق يدور الغضب ، ألقى للمرءين له نور يعلوه ، ويحبه من لم يتأمله أقسم ، كث اللحية ، أبيض ، سهل الخدين ، ضلع النم ، أشدب ، ملج الأسنان ، دقيق المسربة كأن خلفه جيد دمية في صف القصة ، متصل الخلق ، يأنس متأسكاً سواء البطن والصدر ، متج الصدر بنهد ما بين المنكبين شخم الكواكب ، أنور المتجرد ، موصول ما بين اللبة والبرة بشعر مجرى كالخط هاري للثنيين ما سوى ذلك ، أشعر الفراعين والنكبين ، وأعالي الصدر طويل الزندين ، رطب الراحة ، تشن الكفين والقدمين ، سائل الأطراف ، لو قال : سائن الأطراف ، وسائر الأطراف ، سبط العصب ،

خمسة الأخصيين، مسيح القسمين بنوعيهما الماء، إذا زال، زال ثلثهما، ويخطو تكفيلاً، ويمشي موقفاً، ذريح الشية، إذا مشى كأنما ينحط من صيب، وإذا التفت التفت جميعاً، حافظ الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة، يوق أصحابه، ويبدأ من لقبه بالسلام، قلت: صف لي منطقه، قال: كان رسول الله ﷺ متواضع الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يقتنع الكلام ويختمه بالسلامة ويتكلم بجوامع الكلم. فصلاً لا لوصول فيه ولا تقصير، دماً ليس بالجافى، ولا الهين، يحظم النعمة وإن دقت، ولا يذم شيئاً، لم يكن يذم ذواقاً، ولا يمدحه، ولا يلام لنفسه إذا تعرض لحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يفض لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار، أشار بكلمة كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فصرح بإبهامه اليماني راحته الهري. وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح فحس طوفه، جل شعكه التيسم، ويكثر عن مثل حب النعام))

قال الحسن: فكتبتها عن الحسن بن علي زماناً، ثم جعلته، فوجدته قد سبقني إليه، فسأل أباه عن مدخل رسول الله ﷺ ومخرجه ومجلسه وسكوته؟ فلم يدع منه شيئاً.

قال الحسن: سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله جزءاً دخوله ثلاثة أجزاء جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه: ثم جزء جزئه بهته وبين الناس: فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئاً فكان من سيرته في جزء الأمة إيتار أهل اللعل بإذنه وقبته على قدر فضلهم في الدين، منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج: فيتشاور بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من سأله عنهم وأخبارهم الذي ينبغي لهم ويقول ليهلج الشاهد منكم الغائب، وأبلغوا في حاجة من لا يستطيع إبلاغه حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره.

قال في حديث سفيان بن وكيع: يدخلون رواداً، ولا يفرقون إلا عن توان، ومخرجون أدلة يعني قتها، قلت: فأطيرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ قال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا مما يحسنهم ويؤلفهم ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم، ويؤلفه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بشره وطلقه ويتفقد أصحابه. ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويعزبه، ويقبح القبيح ويهونه، مشدداً الأمر

غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده هناك، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره، الذين يلوّنه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده، أهمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة، أحسنهم مواساة وموازرة.

فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطئ الأرض، ويمشي عن إبطائها وإذا انتهى إلى قوم، جلس حيث ينتهي به المجلس وبأسر بذلك ويمشي كل جلساته نصيبه، حتى لا يحسب جلوسه أن أحد أكرم عليه منه، ومن جالسه أو قاومه لحاجة، صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرد إلا بها، أو يمسور من القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه ليعار لهم أباً وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى، وفي الرواية الأخرى: صاروا عنده في الحق سواء.

مجلسه مجلس حلم وحيلة، وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا تزهى فيه الحرم، ولا تشفى فلتاته - وهذه الكلمة من غير الروايتين - يتعاطفون بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفقون بالحاجة، ويرحمون الغريب، فسأله عن سيرته ﷺ في جلساته؟ فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا خباب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مناج، يتعاطل عما لا يشتهي، ولا يلبس منه، وقد ترك ثلث من ثلاث: (الرياء والإكثار وما لا يمنه) وترك الناس من ثلاث: (كان لا يتم أحد ولا يعيره ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه)، (إذا تكلم أظرق جلسائه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكث تكلموا لا يتنازهون عنه الحديث، من تكلم عنده أتعنوا له حتى يفرغ حديثهم حديث أولهم، يضحك ما يضحكون منه، ويتمجب ما يتمجبون منه، ويعبر للغريب على الجفوة في المنطق، ويقول: إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرقدوه، ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز)، (يقطعه بالثناء أو قيام - هنا انتهى حديث سليمان بن كعب).

وزاد الآخر: قلت: كيف كان سكوته ﷺ؟ قال: كان سكوته على أربع على (الحلم والحذر والتقدير والتفكير)، فأما تقديره (في نسوية النظر والاستماع بين الناس) ولما تفكيره (فهيما يبقى ولا يقنى وجمع له الحلم في العبر فكان لا يقطبه شيء يستغره) وجمع له في الحذر أربع: (أخذ بالحسن ليتقى به، وتركه القبيح لينتهي منه، واجتهاد الرأي بما يصلح أمته، والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة).

وهكذا روينا في الشفاء من طريق الترمذى في الشمائل، والحافظ أبى هلى ابن
شاذان المتوفى ببغداد سنة ٤٣٦ هـ وأخرجه أيضاً ابن سعد في الطبقات والطبرانى في
الكبير وأبو نعيم والبيهقى كلاهما في الدلائل، ومعانيه وإزدة في جملة أحاديث في
الصالح والسنن وغيرها وشرحه مستوفى في روح الشمائل وشرح الشفاء وغيرها .

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلامه على سيدنا محمد سيد المرسلين، خاتم
النبيين، وعلى آله الطاهرين وخيار صحابه من الأنصار والمهاجرين، ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلى العظيم .

تم بحمد الله وتوفيقه كتاب

(أفضل مقول فى مناقب أفضل رسول ﷺ)

الناشر

مكتبة القاهرة

على يوسف سليمان وأولاده

١٢ ش الصناديق بالأزهر ت : ٩٠٥٩٠٩

١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٩١٢٧٥٨٠

ص . ب ٩٤٦ العقبة - القاهرة - جمهورية مصر العربية